بيت الحكمة البغدادي
وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية
(132 - 656هـ – 754 - 1358م)

بحث مقدم الى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الادآب في التاريخ

اعداد

الطالبة: رفيدة اسماعيل عطا المنان اسماعيل

بكالوريوس الاداب العام - جامعة الخرطوم 1996م

اشراف

د. الفاتح الزين الشيخ ادريس

جامعة الخرطوم - كلية الآداب - قسم التاريخ

اكتوبر 2009م

قائمة المحتويات

الآيـــــــــة

قال الله تعالـي :

" اقْرأْ بِاسمِ ربك الذي خلَق * خلَق الْإِنسانَ من علَقٍ * اقْرأْ وربك الْأَكْرم * الذي علم بِالْقَلَمِ * علم الْإِنسانَ ما لَم يعلَم ُ".

صدق ا العظيم
سورة العلق

الإهداء

إلى من دخلت في الحنايا وعطرت صفحات الماضي والحاضر بأنغام

أمي ،،،

إلى واحة الحب المتدفقة . . ودوحة العشق الدافئ

أبى،،،

فلا الكلمات تلقي مساحات . . . ولا الأقلام توفيكم النصاب

أخوتي،،،

إن كنت لست معي فالذكر منك معي . . يراك قلبي وإن غبت عن بصري

إن كنت تبقي العلم أو أهله .. أو شاهد يخبر عن غائب

إلى كل إنسان يعمل للسودان،،،

شكر وعرفان

قال تعالي: (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ)[1]

وفي الحديث الشريف : (من لا يشكر الناس لا يشكر ا)

الحمد الذي أنار عقولنا بدين الإسلام ...

أتقدم باسمي آيات الشكر والتقدير والامتنان والتقدير

إلي علماء وأساتذة أجلاء وهبوا أنفسهم لخدمة العلم

والمعرفة واخص منهم الأستاذ الجليل

الدكتور : الفاتح الزين الشيخ

والشكر أجزله إلى كل من تعاون معي وجميع

من ساهم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة

المتواضعة ..

---

[1] سورة إبراهيم الآية :7

مستخلص البحث

عنـــــوان البحث:

بيت الحكمة واثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية
(132 - 656هـ – 754 - 1358م)

اعداد الطالبة: رفيدة اسماعيل عطا المنان اسماعيل

شهدت الدولة العباسية نهضة علمية في شتى ضروب المعرفـة وتطـور التعليم بعد ذلك عن طريق المساجد، حيث كان المسجد هو المكان الرئيسي لنـشر الثقافة الاسلامية، وقامت حلقات العلم في المساجد لان الدراسة في سنين الاسـلام الاولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الاسلامي وتطور التعليم ايضا عن طريق مجالس المناظرة. التي كان الغرض منها ليس التعليم فقط بل فض الفـتن والمنازعات، وعدم تعطيل احكام ا سبحانه وتعالى واخذ حق المظلوم من الظالم.

وتطور التعليم خلال فترة الخلافة الراشدة والدولة الاموية الى ان وصـلنا الى عهد الدولة العباسية خاصة في عهد الخليفة المأمون الذي ساهم في انشاء بيت الحكمة، والحكمة هو علم يبحث عن حقائق الاشياء، اما بيوت الحكمـة الخاصـة فهي خزائن الكتب التي انشأها العلماء والادباء والاعيان في دورهم وكان يـستفيد منها الناس.

ومن اشهر الخزائن العامة بيت الحكمة البغدادي لذلك كان لابد من معرفـة من هو مؤسس بيت الحكمة وموقعه، وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه، وما هـو دور بيت الحكمة في حركة النقل والترجمة واهم المترجمين ومؤلفاتهم ، وقد اثـر

بيت الحكمة في ازدهار الحركة العلمية وفي نشر الحضارة العربية الى الغـرب، واثر ايضا في نشأة المدارس في بغداد. وقد اتبعت منهج البحث التـاريخي فـي تحليل فرضيات الدراسة للوصول للاهداف الموضوعية، وقد حققت هذه الدراسـة عدة نتائج منها:

- اثبت هذا البحث فضل التعليم والعلماء.
- انقسام العلوم في العصر العباسي الى نقلية وعقلية.
- تطور التعليم عن طريق المساجد ومجالس المناظرة.

ABSTRACT

Title of the research:

Bayt al-Hikma in Baghdad and its Impact on the intellectual movement at the Abbasid State

(132 – 656 هـ - 754 - 1358 م)

Prepared by student: Rufayda Ismail Attaalmanan Ismail

The Abbasid state witnessed a considerable renaissance in various types of erudition. The education was developed throw the mosque, which played significant role in the diffusing the Islamic civilization. The colloquiums were held inside the mosque, because the education in the earlies days was Islam studies which explain the Islamic religions instructions. The educaion also developed by the disputation councils, which also look after setlement, ensuring justice instead of appression according to the Islamic rules.

The education continue developed during the he Abbasid state paticulary at caliph Al- Mammon who period, who established Bayt al- Hikma Library in Baghdad.

As Bayt al- Hikma was the famous public library so we have to know about its establishment, position staff, the role of Bait Al Hikma in copying and translation and the famous translators and their compilations. Bait Al Hikma produce an effec on the

intelleal activities, promulgation the Arabic civilization to the wes and also it has an impact on school origination in Baghdad.

The thesis followed the historical method in analysis the study hypothesis, and attained many results like:

- The savants and education superioriy.
- The cognizance had been divided during the Abbasid state into rational and translated ones.
- The education was developed through the mosques and the disputation councils.

المقـــــدمة

ان فكرة الدراسة للعلوم المختلفة في خارج الجامع كانت من الامور التي تراود اذهان الخلفاء العباسيين ببغداد في زمن مبكر من تاريخ دولتهم اوجدوا من اجل ذلك دور العلم وبيوت الحكمة للدراسة وترجمة علوم الاقدمين وكانت بغداد في عصر الازدهار العباسي كعبة العلماء والاطباء.

ولابد ان نرجع الى ان المكتبة هو المكان الذي تحفظ فيه الوثائق والمصادر والمراجع المهمة التي تستفيد منها الاجيال المتعاقبة على مدى الازمان، لذلك لابد ان نرجع الى عصر فكرة انشاء المكتبة، واثبتنا في هذا البحث ان فكرة المكتبة ترجع الى العصر العباسي الاول وخاصة في عهد المأمون الذي اهتم بحركة الترجمة ويعتبر عهده من ازهى عصور دولة بني العباس حيث شجع النهضة العلمية.

ونجد ان انشاء مكتبة الحكمة او دار الحكمة او خزانة الحكمة ساعدت العصور المتعاقبة الى انشاء المكتبات العامة، وقيام المدارس وظهور العلماء وانتقال العلوم من الاوربيين الى المسلمين من خلال الترجمة، وايضا انتقل التعليم من المساجد الى المدارس والجامعات.

سقوط بغداد عام 656هـ في ايدي التتار دفع هؤلاء الطغاة بتلك المدينـة الاسلامية الزاهرة الى الدمار الحقيقي، وعاثوا فيها فسادا واتلافا، وانهـالوا علـى علمائها تشريدا، ثم لم يكتفوا ان يفعلو ذلك بالانفس والارواح فقط بل القوا الكتـب في نهر دجلة وقضوا بهذا العمل على بغداد قضاءاً سياسيا وادبيا في ذات الوقـت معاً.

وهكذا كان للسياسة الداخلية للدولة العباسية في العـصر العباسـي الاول، تأثيرها بشكل او بآخر على السياسة الخارجية للدولة ووجهتها وجهـات معينـة، حسبما كانت تقتضي الظروف، وكما كانت تتطلب حالات معينة وامـور خاصـة كانت تعيشها الدولة وتمر بها.

أ. الاسباب التي ادت الى اختيار الموضوع:

هنالك عدة اسباب دفعت لدراسة هذا البحث منهـا ان العباسـيين نهـضوا بالعلوم والمعارف وخاصة في العهد العباسي الاول وعملوا على تطوير وترقيـة التعليم وأنشأؤا له بيتاً للحكمة وهو المعني بهذه الدراسة الذي ساعد المترجمين في تطوير حركة الترجمة والنقل.

كما اهتم البحث بعهد الخليفة المأمون الذي كان من ازهى العهود في الدولة العباسية حيث كانت هنالك نهضة علمية شاملة.

وقد القى البحث نظرة كاملة لبيت الحكمة الذي كان له اثر بالغ في تطوير التعليم وظهور العلماء والمترجمين وانشاء المدارس وكان له الاثر المباشـر فـي نشر العلوم المختلفة في اوربا.

ب. اهمية الموضوع:

ان هذا الموضوع يمثل ادراج لجانب مهم من الحضارة الاسـلامية. فقـد تناول البحث موضوع بيت الحكمة في بغداد واثره في تطـوير الحيـاة العلميـة والثقافية في فترة الدولة العباسية. وقد اهتم الخليفة المأمون بهذه المكتبة وجلب لها انواع مختلفة من الكتب العلمية مما اثرى الحركة الثقافية في تلك الفترة.

ج. الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة عن الدولة العباسية جوانب محددة، فهي عبـارة عن دراسات تاريخية للدولة العباسية بصورة متفرقة، وذلك عندما يدرس الباحـث جانب من حياة الدولة العباسية. اما الدارسة التي نحن بصددها فهي تهـدف الـى دراسة بيت الحكمة في بغداد باعتباره مركزا هاما من مراكز الاشعاع الثقافي في الحضارة الاسلامية.

د. مشكلات البحث:

واجهتني عدة صعوبات في هذه الدراسة تتمثل في ان المصادر لا تجود الا بالقليل عن هذا الموضوع وذلك لعدة اسباب اعتقد انها مرتبطـة بوضـعية ذلـك المجتمع من الناحية الاجتماعية والفكرية، المعلومات التي وجدت فـي المـصادر مفرقة تحتاج لجهد كبير لجمعها ومضاهاتها مع بعضها بغرض الوصول للمثل.

كما ان تشتت المعلومات كان من الصعوبات التي واجهت هذا البحث الـى جانب تركيز المراجع والمصادر التي ارتكز عليها الباحث كانت جميعها تتحـدث عن نقطة معينة في الموضوع لا تتعداه الى سواه.

هـ. خطة البحث:

اتبعت في هذا البحث منهجاً علمياً يقوم على تحليل الحقائق وفقاً لمعطيات الزمان والمكان واعتمدت في ذلك على المنهج التاريخي التحليلي.

قسم البحث الى مقدمة واربعة فصول وخاتمة وثبت المصادر والمراجع، استعرضت في الفصل الاول النهضة العلمية في العصر العباسي الاول

واستعرضت فيه انقسام العلوم في العصر العباسي الى عقلية ونقلية، ومجالس المناظرة والمساجد.

وخصصت الفصل الثاني للتحدث عن بيت الحكمة من حيث التعريف عن بيت الحكمة، موقع بيت الحكمة، وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه، بيت الحكمة وحركة الترجمة والنقل واهم المترجمين في بيت الحكمة.

وافردت الفصل الثالث للتحدث عن اثر بيت الحكمة في ازدهار الحركة العلمية ودوره في نشر الحضارة العربية الى الغرب، وكيف أثر بيت الحكمة في نشأة المدارس في بغداد.

وتناولت في الفصل الاخير انهيار بيت الحكمة الذي كان من اسبابه ضعف الخلفاء العباسيون الذين أدوا الى انهيار الخلافة العباسية وذلك بدخول التتار وتحطيمهم لبيت الحكمة.

و. تقويم مصادر البحث ومراجعه الرئيسية:

اعتمدت في بحثي على عدد من المصادر العربية المتخصصة في التاريخ الاسلامي. قسمت مصادر الدراسة الى:

اولاً: كتب التاريخ العام:

1/ الطبري: (ت 224هـ / 923م) الامم والملوك:

تناول الطبري في كتابه اخبار السيرة النبوية وانتشار الدعوة وعهد الخلفاء الراشدين وبدء الفتن بين المسلمين واخبار الدولتين الاموية والعباسية.

اعتمد الطبري في كتابه على الروايات، ولا يهتم بنقدها او ترجيح رواية على اخرى، بل يسوقها بأسانيدها تاركا التفاصيل والترجيح للقارئ. وقد افادني

الكتاب في بعض مراحل البحث لا سيما في اشارته لبعض الحركات التي ادعى كل منهم انه (المهدي) مثل حركة النفس الذكية وحركة المختار بن ابي عبيد الثقفي. وقد اخذ بعض المؤرخين الذين جاءوا بعده منه، ويعتبر مصدرا لبعض المؤرخين الذين جاءوا بعده مثل ابن كثير وابن الاثير.

2/ ابن خلدون: (ت 808هـ / 1406م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر:

هو ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون، من كبار ائمة الادب، وقد انتهج في كتابة الرسائل والمؤلفات اسلوبا جديدا تميز بالسهولة والوضوح والدقة والترابط الفكري وجاء خاليا من السجع والمحسنات البديعية.

يعتبر هذا الكتاب تاريخا شاملا للامم منذ بدء الخلق وانساب الامم المختلفة وقد تميز ابن خلدون بالتحقق فيما نقله من الروايات والاخبار. وقد ساعدني تقسيمه الكتاب الى كتب وفصول في تتبع تاريخ كل دولة على حدة منذ بدايتها وحتى نهايتها.

3/ ابن كثير: (ت 774هـ / 1373م) البداية والنهاية في التاريخ:

هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن جعفر بن ورع القرشي البصري ثم الدمشقي، ابو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، تناقل الناس تصانيفه في حياته يحوي كتابه معلومات وفيرة عن تاريخ العرب انتهى فيه الى حوادث سنة 767م، واشتهر بالدقة والضبط والتحرير، وافادني الكتاب فيما اورده من تنبؤات عن

الرسول صلى ا عليه وسلم في شأن بعض الصحابة وما سيقع لهم مستقبلا، اضف الى ذلك ما تناوله عن خبر الملاحم والفتن واشتراط الساعة.

4/ ابو حنيفة الدينوري: (ت 282هـ / 895م) الاخبار الطوال:

من اهم المصادر التاريخية، يتناول الاحداث بدقة في الدولة العربية من بعد ظهور الاسلام الى آخر عهد الخليفة العباسي المعتصم با ، وتأتي اهمية الكتاب لان مؤلفه قد عاصر بعضا من حوادثه فدون في كتابه تفاصيل ما شاهد ورأى، وحقائق ما سمعه من قبله، فهو يذكر في كتابه تاريخ العصر العباسي الاول ومكائد العلويين وسقوط الدولة الاموية بعد فتنة المختار ويروي مقتل الحسين بن علي ويسهب في وصف المعارك بين علي ومعاوية.

الكتاب مقسم الى ثلاثة اقسام: الباب الاول يتناول الاحداث التاريخية مبتدئا بآدم عليه السلام والانبياء بعده واخبار العرب البائدة. وفي هذا الجزء يعرض عرضا سريعا لا يتقيد فيه بنظام بيئي ولا ترتيب زمني. الباب الثاني خاص بتاريخ الفرس بدأه بتاريخ الاسكندر وحتى ذكر ملوك الطوائف. وفي الباب الثالث يتحدث عن الفتوحات الاسلامية في عهد عمر بن الخطاب والخلفاء بعده. وهذا الجزء من اهم اقسام الكتاب واكبرها. وقد استفدت منه في ذكر تفاصيل الوقائع وربط الاسباب بمسبباتها والاتجاهات الشعوبية التي فرقت المذهب الاسلامي الى شيع وطوائف.

ثانيا: كتب التراجم:

1. ابي العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر: (ابن خلكان) (608 – 681هـ) (1211 – 1282م): وفيات الاعيان

هو فقيه مؤرخ، اديب، شاعر، مشارك في غيرها من العلوم، ولد باربل، وتفقه على والده بمدرسة اربل ثم انتقل الى الموصل، ثم حلب، ثم قدم دمشق، ثم الى القاهرة، وتولى قضاء دمشق، وتوفي بها في رجب، ودفن بسفح قاسيون.

درس في سبع مدارس العادلية والناصرية والعذراوية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية. وكان اماما فاضلا بارعا متقناً عارفا بالمذهب (الشافعي) حسن الفتاوي، جيد القريحة، بصيراً بالعربية، علامة في الادب والشعر وايام الناس ومن اثاره وفيات الاعيان.

تمتاز وفيات الاعيان بالبحث الدقيق الذي التزم به المؤلف ونسبته، ثم يذكر شيئا عن مكارمه وسيرته التي اشتهر بها، وقد عنى به الكثيرون، ورتب ابن خلكان معجمه هذا بالاعلام هجائيا وبدأ باول اسم يبدأ بالهمزة وآخره بحرف الياء وراعى في ذلك اول حروف الاسم وثانيه فقط كما انه التزم الايجا في اكثر مواطن الكلام وانه اطال واسهب في بعضها وروايته لكثير من الاخبار التي لا تخلو من مبالغة متوخيا في ذلك امانة النقل وهو مع هذا افضل كتب التراجم. اسلوبه ليس به تكلف بل تتجلى فيه عذوبة الالفاظ وسهولتها وخلو الاسلوب من السجع والتكلف وكان يغلب عليه الوضوح والظهور.

2. محمد اسحق بن النديم: (..... ، 38هـ) (.... ، 990م): <u>الفهرست</u>

من المحتمل انه ولد في عهد القاهر الذي دام من 320 الى 323هـ وقد يكون ولد في عهد سبق عهد المقتدر او عهد تبع عهد الراضي. كان وراقا في بغداد وكان يبيع الكتب، وهو اديب وعالم، مشارك في انواع من العلوم من تصنيفاته الفهرست والتشبيهات.

كتابه عبارة عن فهرست كتب فيه جميع الامم من العرب والعجم الموجودة منها بلغة العرب وصنفها في اصناف العلوم واخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وانسابهم وتاريخ موالدهم ووفاتهم وبلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع.

وقد رتب كل الموضوعات ولم يراع الترتيب الابجدي في ذكر اسماء العلماء الذين اشتهروا في كل فن ولا في ترتيب اسماء الملفات التي الفها كل من منهم. ويحتوي الفهرست على قرابة 6400 كتاب من الملفات المعروفة في عصره.

ويعتبر اول واشمل فهرست من نوعه الف بالعربية، وقد كان اسلوبه في التأليف ان يقدم الكلام في الفنون التي بوبها ثم يترجم للمؤلفين ويسرد اسماء مؤلفاتهم جميعا وقد قسم الفهرست الى عشر مقالاً.

3. مصطفي بن عبد ا المشهور (حاجى خليفة): (1017-1067هـ) (1609-1657م): <u>كشف الظنون</u>

مؤرخ ، عارف بالكتب ومؤلفيها ، مشارك في بعض العلوم. ولد بالقسطينية. واخذ عن عبد ا الكردى المدرس باياصوفيا ولي الدين المنشاوي الواعظ وغيرهما، وتولى اعمالا كتابيه في الجيش العثماني ، وذهب مع ابيه وكان من رجال الجند الي بغداد فمات ابوه بالموصل فرحل الي ديار بكر، ثم عاد الي القسطنطينة ورحل الي الشام وصحب والي حلب محمد باشا الي مكه ، فحج وزار خزائن الكتب الكبرى، وعاد الي السطنطينية، وشهد حرب كريت.

وقد انقطع في السنوات الاخيره من حياته الي تدريس العلوم، بتدوين اسماء الكتب التي يجدها عند الوراقين وفي خزائن الكتب بالقسطنطينية ويقتني المؤلفات ويساعده علي ذلك اموال ورثها من بعض اقربائه وتوفى بالقسطنطينية.

ومن تصنيفاته كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون في مجلدين، تحفة الكبار في اسفار البحار، ميزان الحق في التصوف، سلم الوصول الى طبقات الفحول في التراجم، تحفة الاخبار في الحكم والامثال والاشعار.

رتب حاجي خليفة اسماء العلوم والكتب ترتيبا هجائيا. كما بين لنا ان اكثر حملة العلم في الاسلام من العجم. وكشف الظنون معجم كبير فيه عناوين الكتب العربية والتركية والفارسية وهو اوسع كتاب ضم ما يقرب من 14500 كتاب من ذكر اسم المؤلف وسنة وفاته وموضوع الكتاب. واحتوى ايضا تاريخ العلوم والفنون والخطوط وتاريخها وذكر العلوم بحروفها كما نقل بعض مقدمات الكتب والاشارة الى مواضيعها.

4. موفق الدين احمد بن قاسم المعروف بابي اصيبعة: (596 – 668هـ) – (1200- 1270م): عيون الانباء

نشأ في بيت علم وادب، وقد كان ابوه اشتهر بعلاج العيون وامراضها، فظهر ابنه وفتح عيناه على علم الطب وتطبيب العيون. وكان ابي اصيبعة طبيب، مؤرخ، اديب. ولد بدمشق وتوفى بصرخد جبل الدروز في الجمهورية السورية وقد جاوز التسعين ومن تصانيفاته عيون الانباء في طبقات الاطباء، وله شعر كثير.

الف بن ابي اصيبعة كتابه: عيون الانباء مبتدءا فيه بترجمة كبار الاطباء، من اول ما عرف في الطب من الاغريق والرومان والهنود من اقدم الازمنة.

ترجم لاطباء اليونان وغيرهم ولا يكتفي بذكر ما قام به المترجم من اعمال، بل يأتي بشئ من ارائه ولا يترك ما الفه من كتب او نقله الى اللسان العربي ويتكلم ايضا عن الاطباء العرب والعجم والهنود والمغرب ومصر والشام كل على حده، ويوجد بين التراجم عدد كبير من المشاهير الذين لم يعرفوا الطب ولم يكونوا اطباء.

وقد رتبها على حسب البلاد واطباء كل بلد حسب الوفاة من اقدم الازمنة الى ايامه ترتيبا جغرافيا ترجم لهم وذكر بعض من اقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم واسماء كتبهم وقد قسم ابن ابي اصيبعة كتابه عيون الانباء الى خمسة عشر باباً.

ثالثاً: كتب الادب:

1. ابو العباس احمد بن علي القلقشندي: (756 – 821 هـ) (1355م – 1418م): صبح الاعشى

ولد في قرية القليوبية قرب القاهرة وينتمي الى قبيلة فزارة العربية. نشأ في دار علم وادب وتوجه نحو الاسكندرية لينهل العلم على اكابر علماء عصره. ومنذ عام 778هـ اشتغل بتدريس الحديث النبوي والفقه وغيرهما من العلوم الدينية ثم التحق بديوان الانشاء حتى وفاته عام 821هـ..

من مؤلفاته الارب في معرفة انساب العرب، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم،

الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات، ومختصرات الجوامع في فقه الشافي، ضوء الصبح المسفر وجنى الروح المثمر.

صبح الاعشى من الموسوعات ذات طابع الاشتمال على كل شئ، فقد كان منهاجه محدد وخطوط الاستطراد الطويلة تقصر وتعدد الموضوعات وفروع المعرفة التي تحتويها تتقاص، ليس على حساب العلم بطبيعة الحال بقدر ما هي لحساب التخصص. ذلك ان اول موسوعة تظهر حسب الترتيب التاريخي.

الفصل الأول

النهضة العلمية في العصر العباسي الأول

- انقسام العلوم في العصر العباسي إلي عقلية ونقلية.
- مجالس المناظرة.
- المساجد.

النهضة العلمية في العصر العباسي

إن فضيلة العلم ظاهرة ظهور الشمس وذلك لقوله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[1]. وأيضاً ما جاء في حديث النبي صلوات الله وسلامه عليه: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم)[2] . والعلم يزين الملوك أكثر مما يزين الرعية، وإذا كان الملك عالماً صار العلم ملكاً[3].

عندما ظهر الإسلام كان من أهم ما دعا إليه القرآن طلب العلم والعمل على تحصيله ، وحث الحديث على طلب العلم ولو كان في الصين. كما استعان الرسول صلى الله عليه وسلم بأسرى حرب بدر على تعليم المسلمين إذا شاءوا افتداء أنفسهم[4].

ولا يستطيع الأسير أن يفدي نفسه ما لم يعلم عشرة من أبناء المسلمين. ثم حث الصحابة على تعلم اللغات حين بعث دعاته ورسله إلى الملوك والأمراء في خارج الجزيرة العربية، فنصح زيد بن ثابت بأن يتعلم كتابة اليهود لأنه لا يأمن جانبهم. ولم يختص النبي صلى الله عليه وسلم الرجال بالعلم والتعليم، بل كان يحرص على أن يكون حظ المرأة من ذلك موفوراً ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)[5].

---

[1] الزمر : 9

[2] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج1 ، ط2 تونس دار سحنون، (باب فضل العلماء والحث على طلب العلم)، (1413هـ – 1992م) ، ص: 223

[3] محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، بيروت، (1386هـ - 1966م) ، ص: 5 - 7

[4] علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة العربية الحديثة، 1975، ص: 232

[5] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، دار الجيل بيروت، (1411 هـ - 1991م)، ص: 403

وكان الرسول صلى ا عليه وسلم يحث الرجال على أن يعلمـوا أهلهـم وذويهم، عن أبي بردة قال: قال وكان الرسول ا صلى ا عليه وسلم : (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، العبد المملوك إذا أدى حق ا وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحـسن تأديبهـا وعلمهـا فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران)[1].

وكان الصحابة أنفسهم شغوفين بسماع الرسول صـلى ا عليـه وسـلم والأخذ عنه، حتى كان الرجل إذا لم يستطيع أن يذهب إلى مجلسه أنـاب عنـه صديقاً له ثم يتعلم منه آخر النهار ما قال الرسول صلى ا عليه وسـلم، قـال عمر كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهى مـن عـوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول إلى الرسول صلى ا عليه وسـلم وينـزل يومـاً وأنزل يوماً جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.[2]

وقد تفرق هؤلاء العلماء من الصحابة في الأمصار الإسلامية، فقاموا فيهـا بحركة علمية، والتفت حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم وأذاعوه بين الناس، ولم يكن جميع هؤلاء من العرب بل كان بينهم كثير من الموالي.[3]

وكانت العلوم شائعة عند العرب قبل الإسلام ضرورية لهم وحتمتها ظروف البيئة، والعرب لم يتعلموا هذه العلوم في المدارس، ولا ألفوا فيها الكتـب، لأنهـم كانوا أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، وإنما هي معلومات تجمعت فـي ذاكـرتهم يتوالى الأجيال بالاقتباس والاستنباط وتناقلت في الأعقاب[4].

---

[1] الإمام احمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، حققه محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة للطباعة بيروت – لبنان ، (ب ،ث) ، ص: 185-190

[2] نفسه

[3] حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج1، ص:404

[4] علي حسني الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص 223

وقد أستفاد كثير من الصحابة من صحبتهم الرسول صلى ا عليه وسـلم فنبغ علي في القضاء حتى كان يقال (إذا شكل الأمر قضية ولي أبا حـسن لهـا، ونبغ معاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت في تقسيم المواريـث والأنصبة في الغنائم وما إليها، وأبي كعب في قراءة القرآن ....). روى البخاري أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال : (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين ا عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد بن ثابت (أي أعلمهم بعلـم الفـرائض وهـي المواريـث)، وأقرؤهم لكتاب ا ُأبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[1].

وقد أعتبر الفقهاء أن من أول حقوق الأمة علـي الخليفـة(نـشر العلـوم والشريعة وتعظيم العلم وأهله ورفع مناره ومحله ... ومخالطة العلماء والأعـلام الفصحاء لدين الإسلام، ومشاورتهم فـي مـوارد الأحكـام ومـصادر الـنقض والإبرام)[2].

كانت عناية الجميع في أول الأمر مقصورة على العلوم الدينية، وما يتعلق بالقرآن وتفسيره، والحديث وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الـشرعية فيما يجد من مشاكل خلقها تبدل الأيام وتقدم الفتوح. وكذلك كان أول ما انتشر من العلوم في عهد الأمويين مرتبطاً بالدين ودراسة الدين، مع بعض العناية بالترجمة والعلوم الفلسفية الأخرى[3].

---

[1] حسن إبراهيم حسن، المرجع سابق، ج1، ص: 404
[2] علي حسني الخربوطلي، المرجع سابق، ص: 232 - 233
[3] نفسه

وقد ميز كتاب المسلمين بين العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم والعلوم التي أخذها العرب عن غيرهم. ويطلق على الأولى العلوم النقلية أو الشرعية، وعلى الثانية العلوم العقلية أو الحكمية، ويطلق عليها أحيانا علوم العجم أو العلوم القديمة وعلوم الأوائل.

وتشتمل العلوم النقلية: علم القراءات وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه والنحو واللغة والأدب. وتشتمل العلوم العقلية: الفلسفة، والهندسة وعلم النجوم، الموسيقى، الطب، السحر، الكيمياء، التاريخ والجغرافيا[1].

ونجد في تاريخ اليونان القديم اثر اليونان في الثقافة الإنسانية عظيم وعميق، لأنه إلى جانب إمداد العالم بمنتجات فلاسفتهم وعلمائهم وكتابهم ومفكريهم وقد مدوه أيضا بالنخّب والملُح مما وقف عليه اليونان من زبدة علوم الآشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان.

فإذا قلنا إن العرب وقفوا على الفلسفة اليونانية ومنتجات العقول اليونانية، فكأننا نقول ضمنا بوقوفهم على آثار العقليات الإنسانية العامة، وإنهم وقفوا على آثار الثقافة القديمة والحضارات القديمة. ونجد أن الدولة العباسية كانت فارسية إلى حد ما، أو على الأقل كانت متسمة بالطابع الفارسي متأثرة به[2].

كان لانبساط رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها، ورواج تجارتها، أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدأ أن الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً غدوا فجأة طلاباً للعلم أو على الأقل أنصاراً للأدب. وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً

[1] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج1، ص: 405
[2] احمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ج1، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1346هـ 1927م، ص: 160

إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جمـوع التلاميذ المتلهفين ، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هـذه المـصنفات التي هي اشبه شئ بدوائر المعارف، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هـذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل[1].

وإن إنتصارات الجيوش الإسلامية أيام المهدي والرشيد علـى البيـزنطيين أعدائهم المعهودين كانت سبباً في تألق نجم هذا العصر كما أن حياة الترف والبذخ التي إتصف بها قد رفعت شأنه في التاريخ والقصص. علـى أن سـبب عظمتـه الحقيقية راجع إلى اليقظة الفكرية التي لم يعهد لها مثيل في تاريخ التقدم الفكـري في كل العالم. إلا أن هذه اليقظة كانت إلى حد ما بعيدة، وليدة المؤثرات الأجنبيـة سواء كانت هندية او فارسية أو سريانية أو هيلينية[2].

أما النهضة العلمية التي نعنيها فيمكن أن نتتبع ظهورها في عصر الرشيد إذ بدأ في جمع الكتب القديمة المختلفة على نطاق واسع وشيدت دار خاصـة ووكـل الإشراف على هذه الدار إلى علماء نابهين تقدميين. فلما جـاء عـصر المـأمون نشطت حركة الجمع نشاطاً ملحوظاً وأرسلت البعثات إلى مختلف البلاد بحثاً عـن المخطوطات القديمة ومؤلفات اليونان والفرس والهنـود وزودت هـذه البعثـات بالأموال .

وكان الخليفة فوق كل ذلك يستغل في الوصول إلى هذا الهدف كل ماله من نفوذ أو صداقة. وقد نجحت هذه المحاولة إلى أبعد حد وجمعت الكتـب التـي زاد عددها زيادة كبيرة واطلق المأمون على الدار التي ضمت الاف الكتب المتنوعـة

[1] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 322

[2] فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب (مطول) ، ج1، الطبعة الرابعة، دار غندور للطباعة والنشر – القاهرة 1980، ص: 373

إسم (بيت الحكمة) وقد إختار المأمون للأشراف على الدار الجديدة العالم النابغة (سهل بن هرون)[1].

وخلاصة القول كانت الثقافة العربية الإسلامية مزيجاً من عقلية عربية لها طبيعة خاصة هي نتاج بيئتها، وحياة اجتماعية خاصة يعيشها العرب في جاهليتهم ودين إسلامي أتى بتعاليم جديدة، ورسم للحياة مثلاً اعلى يخالف المثل الذي كانت ترسمه تقاليد الجاهلية، وفتح إسلامي مد سلطانه على فارس وما حولهـا، وعلـى مستعمرات رومانية كثيرة، فأذاب ما كان للفرس من دين ومدينة وعلم وما كـان للمستعمرات الرومانية من دين ومدنية وعلم في الدولة العربية الإسلامية جميعها، وكون منها مزيجاً واحداً مختلف العناصر.

1 علي محمد راضي، عصر الاسلام الذهبي: المأمون العباسي، الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة، 1970م ـ ص: 68

انقسام العلوم في العصر العباسي
إلى عقلية ونقلية

شهدت الدولة العباسية نهضة علمية في شتى ضروب المعرفة، فظهرت الكثير من العلوم، مثل علوم القرآن، والتفسير، والحديث، وهي العلوم المعروفة عندهم بالعلوم النقلية. أما في مجال العلوم العقلية فقد ازدهرت الفلسفة، والهندسة وعلم النجوم، والموسيقى، والطب، والرياضيات. أن حركة الجمع للكتب بدأت بجمع القرآن الكريم والآحاديث الشريفة في عهد الخلفاء الراشدين بالتحديد في عهد آخر هؤلاء الخلفاء. وفي عهد الأمويين جمعت المقالات وتفاسير للفقهاء النابهين وأخذت النهضة في عهدهم تزداد[1].

وكان الاهتمام مركزاً على علوم الدينية وكان نصيب العلوم الدنيوية محدوداً ولو أن إحتكاك العرب بالروم والفرس قد خلق جواً جديداً فتغيرت بعض العادات والتقاليد العربية. وقد بدأت دراسة العلوم الدينية في ضوء المنطق وبخاصة علم الاصول وبدأ بحث ما جمع من أحاديث الرسول صلى ا عليه وسلم بحثاً دقيقاً وبخاصة من ناحية التواتر وصدق الرواية[2].

وقد كان للعلوم العقلية والنقلية منهجاً خاصاً في البحث والتأليف، وكان منهج البحث والتأليف في العلوم النقلية فإعتمد على الرواية وصحة السند. فالمؤلفون في التفسير في ذلك العصر يعتمدون على نقل ما روى من تفسير الآيات عن الصحابة والتابعين وكذلك الشأن في الحديث[3].

---

[1] علي محمد راضي، المرجع السابق، ص: 68

[2] نفسه

[3] احمد امين، ضحى الاسلام، ج2 ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1964، ص: 16

كان لإتساع رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبيـ ر في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى أصبح كثير من الناس طلاباً للعلم وأنصاراً للأدب، كما طاف فريق كبيرمنهم البلاد سعياً إلى موارد العلم[1].

ونجد في تاريخ الثقافة الإسلامية أن السواد الأعظم من الذين إشتغلوا بالعلم كانوا من الموالي خاصة الفرس. وكانت اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين المسلمين إلى أن أزال المغول الخلافة العباسية من بغداد في القـ رن الـ سابع الهجري. في الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو أعجمي في لغته[2].

العلوم الإسلامية هي هذه الطائفة من العلوم التي نبعت من طبيعـ ة الحيـ اة الإسلامية وهي التي تتعلق بالدين ولغة القرآن ويطلق عليها بعـ ض المـ صنفين (العلوم النقلية). وكان الباحث في العلوم النقلية ليس له إلا أن ينقل ويروى، فالمفسر والمحدث ليس لهما إلا أن يرويا ما تلقياه عن طائفة عن أخرى مرفوعـ ة إلـ ى الرسول صلى ا عليه وسلم، وليس للغوي إلا أن ينقل اللغة من العرب، أو عمن سمع منهم مباشرة أو بواسطة[3].

ولكن تسمية هذه العلوم بالعلوم النقلية في العصر العباسي لم تعـ د تـ سمية دقيقة، وذلك لأن علماء هذا العصر إستباحوا لأنفسهم أن يعتمـ دوا علـ ى العقـ ل والمنطق في التدليل على ما يذهبون إليه. فأصبح المحدث يحكم على هذا الحديث أو ذاك بأنه موضوع لأنه يخالف العقل والمنطق، وأصبح يفتي في مسألة فقهية لم

1 محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، الطبعة الثانية، القاهرة 1967، ص: 201
2 حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 262
3 احمد شلبي ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج3، الطبعة السادسة ، القاهرة 1978 ص: 237

يرد فيها نص صريح بإجتهاده وتفكيره[1]. وفي العصر العباسي الأول إشتغل الناس بالعلوم الدينية، وظهر المتكلمون، وتكلم الناس في مسألة خلق القرآن[2]. والعلـوم الإسلامية تدين للعصر العباسي بما وصلت إليه من دقة وتنظيم ممـا نالتـه مـن تطور في هذه الفترة من التاريخ[3].

كان هناك نوعان من الدراسة، إشتغل بها المسلمون: دراسة دينيـة حـول القرآن والحديث ودراسة دنيوية حـول الطـب والفلـسفة والكيميـاء والمنطـق والرياضيات والتاريخ والجغرافيا. وقد عبر ابن خلدون عن هذين النوعين تعبيـراً صادقاً، فقال أن العلوم صنفان، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه. الأول يشمل العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البـشرية إلـى موضـوعاتها ومسائلها[4].

وتشمل العلوم النقلية، علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقـه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والبيان، والآدب[5].

والعلوم النقلية هي :

1- علم القراءات :

ومن العلوم التي إشتغل بها العباسيون علم القـراءات، ويعتبـر المرحلـة الأولى لتفسير القرآن. وتتركز النواة التي بدأ بها هذا العلم في القـرآن نفـسه وفي نصوصه نفسها، وبعبارة أخرى في قراءته. ويرجع السبب فـي ظهـور

1 احمد شلبي المرجع السابق ، ج3 ، ص: 237
2 حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج2 ، ص: 265
3 احمد شلبي، المرجع السابق، ج3 ، ص: 247
4 محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص: 201
5 حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 264

بعض هذه القراءات إلى خاصية الخط العربي، إذ أن الرسم الواحـد للكلمـة الواحدة يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها[1].

ومن أشهر أصحاب القراءات في العصر العباسي الأول يحيى بـن الحارث الذماري المتوفى سنة 145هـ - 762م، وحمزة بن حبيب الزيـات المتوفي سنة 156هـ - 772م ،في خلافة أبي جعفر المنصور، وأبو عبـد الرحمن المقرئ المتوفى سنة 213هـ - 828م، وخلف إبـن هـشام البـزار المتوفي سنة 229 هـ - 843م[2] .

2- التفسير:

أتجه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين يعرف أولهما باسـم التفـسير بالمأثور، وهو ما أثر عن الرسول صلى ا عليه وسلم وكبار الصحابة، ويعرف ثانيهم باسم التفسير بالرأي، وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من إعتماده علـى النقل. ومن أشهر المفسرين عبد ا بن العباس، إبن جريح[3].

3- الحديث:

ومن أهم مصادر التشريع الإسلامي (الحديث) وهو ما أثر عـن النبـي صلى ا عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير لشئ رآه، ويأتي في الأهمية بعـد القرآن الكريم. وقد جمع البخاري نحو 7257 حديثاً بما فيها الأحاديث المكـرره. فإذا حذفنا المكرر منها أصبح عددها نحو اربعة آلاف. واختارها البخـاري مـن ثلاثمائة ألف حديث. ولم يثق ابا حنيفة الا بستة عشر حديثاً.

---

1 حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 324

2 ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كتاب المعارف، دار الكتب العلمية، (1407هـ-1987) ، ص: 294 - 295

3 حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 266 -267

وفي القرن الثاني الهجري، أخذ العرب يدونون الأحاديث النبوية واتـاحوا الفرصة لظهور طائفة من أئمة الحديث الذين ظهروا في العصر العباسي واشتهر منهم الإمام مالك والإمامان محمد بن اسماعيل البخـاري، مـسلم بـن الحجـاج القشيري[1].

4- الفقه :

الفقه معروف هو احكام ا تعالى في افعال المكلفين بـالوجوب والحـذر والندب والكراهة والإباحة وهى منتقاة من الكتاب والسنة. ولمعرفة الفقه كان لابد من محو الامية من العرب وذلك بممارسة الكتابة. وانقسم الفقـه إلـى طـريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحـديث وهـم أهـل الحجاز.

إن اختلاف ائمة الفقه في بعض النصوص الفقهية واستنباط الأحكام منهـا أدى إلى تعدد المذاهب. واشتهر من هذه المذاهب اربعة هى مذهب مالـك امـام اهل الحجاز، مذهب أبي حنيفة إمام أهل العراق، ومذهب الشافعي وكان يسير اولاً على طريقة اهل الحجاز، ثم جعل مذهبه وسطاً بين الطريقتين، ومذهب احمد بـن حنبل وكان من كبار المحدثين. واختص هو وأصحابه بالمذهب الحنبلي الذي يبعد عن الإجتهاد مما ادى إلى قلة عدد المتمسكين بمذهبه[2].

5- علم الكلام:

ومن العلوم التي اشتغل بها العباسيون علم الكلام، ويقصد به الأقوال التي كانت تصاغ على نمط منطقي أو جدلي، وعلى الأخص المعتقدات، كمـا يـسمى

[1] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 330

[2] عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج1، المكتبة التجارية الكبرى،(ب . ت)، ص: 445 – 448

المشتغلون بهذا العلم (المتكلمين). وكان يطلق لفظ المتكلمين أول الأمر على من يشتغلون بالعقائد الدينية، غير انه اصبح يطلق على من يخالفون المعتزلة ويتبعون اهل السنة والجماعة[1].

وكان لتعاليم المعتزلة اثر كبير في النهضه الثقافية في العـصر العباسـي الاول ولا سيما في مسألة القرآن. ومن ابرز متكلمـي المعتزلـة ابـو الهزيـل العلاف[2].

6- الأدب :

شهد الأدب نقله قوية ايام العباسيين الذين قربوا الـيهم الفـرس بـصورة خاصة اعترافاً بفضلهم في قيام دولتهم. فكان منهم الوزراء والقادة والولاة كما كان منهم الشعراء والادباء الذين انتهجوا في شعرهم مناهج جديدة في معاني الـشعر وموضوعاته وأساليبه. وكان أشهر هؤلاء الشعراء ابو فراس الذي نظم في الخمر والغزل والصيد.

ومما لا شك فيه ان هناك اسباباً ساعدت على ارتقاء الشعر فـي العـصر العباسي، وظهور مفاهيم جديدة فيه. ومن هذه الاسباب اختلاف صور الحياة فـي العصر العباسي واختلاف قيم الاشياء عما كانت عليه مـن قبـل فـي العـصور السابقة. وكذلك احتكاك العرب بالفرس وثقافتهم عامة والشعر بشكل خاص، ومن هذه الاسباب ايضاً أثر الثقافة الأجنبية عامة والفارسية خاصة في الـشعر والادب العباسي، وانتشار الشعوب التي قامت على الحط من شأن العرب ونقد أشـعارهم ومنها كذلك تشجيع الخلفاء والامراء والولاة والقادة والوزراء للشعراء. هذا فضلاً

[1] محمد بن اسحق النديم، الفهرست، (ب، ت) ، ص: 263
[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص:337

عما كان من خلاف بين الفرق كالشيعة والمعتزلة والخوارج، واستعانة كل فرقـة بعدد من الشعراء للدفاع عن مبادئها ومحاولة الانتصار على خصومها[1].

ولم يكن النثر اقل شأناً وثراءً من الشعر في العصر العباسي. فظهـر فـي هذا المجال عبد ا بن المقفع الذي نقل كثيراً من كتب الفهلوية الى العربية. ومنها كتاب كليلة ودمنة، وعبد الحميد الكاتب الذي يعتبر شيخ صناعة الكتابة، وابن قتيبة الذي نادى بالتجديد في الكتابة، الجاحظ البصري الـذي اتـصف بحريـة الفكـر وغيرهم كثيرون.

7- علم النحو :

برزت الحاجة الى علم النحو بعد الفتوحات الكبرى التي حققهـا العـرب، واختلاطهم بغيرهم من الامم ادى الى فساد اللسان العربـي فانـدفع عـدد مـن الحريصين على اللغة وسلامتها الى وضع قواعد واسس اللغة العربية حيث يذكر الزبيدي ذلك بقوله : (... فتفطن لذلك من نافر بطباعة سؤ افهام النـاطقين مـن دخلاء الامم بغير المتعارف من كلام العرب. فعظم الاشتقاق من فـشو وغلبتـه، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى إن سـببوا الأسـباب فـي تقيدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه)[2].

وقد تصدى لتقويم اللغة العربية ووضع منهاج لها بعض العلماء العـرب كان اولهم ابوالاسود ظالم بن عمرو الدؤلي ثم تلميذه نصر بـن عاصـم وعبـد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبوابا وأصلوا له أصولاً.

---

[1] بشير رمضان التليسي، د. جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، 2002م، ص: 4 - 275

[2] نفسه

وظهر في العصر العباسي الخليل ابن احمد الفراهيدي زمن الخليفة هارون الرشيد. فهذب اللغة، واخذ عنه سيبويه فأكمل تفاريعها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار قدوة لمن كتب في النحو من بعده. ثم برز عدد من العلماء المهتمـين بعلم النحو منهم أبو علي الفارسي، وأبو القاسم الزجاج اللذان وضعا مختـصرات للمتعلمين وعلى إن علم النحو لم يتوقف حيث تركه أبو الأسود الدؤلي أو الخليـل بن أحمد ولكن استمرت جهود العلماء غيرة على اللغة. ثم تتابعت طبقات النحويين بين مؤلف مطول، ومتوسط، ومختصر كل تلك الجهود كانت تهدف للمحافظة على سلامة اللغة دون لحن، لان ذلك يؤثر في القراءة لاسيما في كتاب ا العزيز[1].

والعلوم العقلية منها :

1- التاريخ :

أن مصادر التاريخ الاسلامي كثيرة متنوعة، فمن أهم المصادر التاريخيـة المصادر النبوية وهي القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر الذي أثـر عـن العصر النبوي، مثل شعر حسان بن ثابت الذي نظم القصائد الكثيـرة فـي مـدح الرسول صلى ا عليه وسلم وهجاء أعدائه، إلا أن كثيراً من الشعر المنسوب اليه قد دس عليه[2].

أما العلوم العقلية كالطبيعة والرياضة والطب اكثر ما تعتمد على معقولية الحقائق والاجتهاد، إما عن طريق المنطق وإما عن طريق تجربة الحقائق وبحثها علمياً، فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها، ولكنهم يعنون بوضعها تحت قواعـد

[1] بشير رمضان التليسي، د. جمال هاشم ، المرجع السابق ، ص: 276
[2] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 289

المنطق، وهل من قوانينه ما يؤيدها أو ما يناقضها، وكذلك قـد يحثونهـا علميـاً ليصلوا الى نتيجتها فيحكموا عليها بالخطأ أو الصواب[1].

2- الترجمة :

قامت حركة الترجمة في الدولة العباسية بمساعدة الفرس، ونشأ من ذلـك اختلاط العنصرين العربي والفارسي، اتجهت ميول الخلفاء العباسيين إلى معرفـة علوم الفرس واليونان. فعنى أبو جعفر المنصور بترجمة الكتب ونقل له حنين بن اسحق بعض كتب ابقراط وجالينوس في الطب[2].

وقد زادت العناية بترجمة الكتب في عهد هارون الرشيد بعد أن وقع فـي حوزته بعض المدن الرومية الكبرى، فأمر بترجمة ما عثر عليه المـسلمون مـن كتب اليونان. كما نشطت حركة الترجمة بفضل تـشجيع البرامكـة للمتـرجمين وإدرار الأرزاق عليهم.

وفي عهد المأمون قويت حركة النقل والترجمة مـن اللغـات الأجنبيـة، خاصة من اليونانية والفارسية الى العربية، فأرسل البعـوث إلـى القـسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب[3].

3- علم الخرائط :

وأول من قام برسم الخرائط المصريون القدماء، على الـرقم مـن قلـة معلوماتنا عن خرائطهم، فان النصوص التاريخية وبعض النقـوش،على جـدران المعابد، تدل على أن المصريين القدماء رسموا خرائط لأرض مصر. وقـد اخـذ اليونان خرائط المصريين القدماء وتوسعوا فيها واضافوا إليها، وأيضا الرومـان

[1] جمال الدين سرور ، المرجع السابق، 201
[2] ابن النديم، المصدر السابق، ص: 303 - 304
[3] نفسه

أضافوا إليها فناً جديداً وساعدهم على ذلـك اتـساع معـارفهم، بـسبب تكـوين امبراطورية شاسعة الارجاء في عهد الاسكندر الاكبر والبطالمة والرومان، فقـد رسموا خرائط على اساس تقسيمها الى مناطق حرارية، موزعة بين خطوط وهمية متساوية في الطول مختلفة في العرض، حتى يتمكنوا من ضبط مواقع البلاد[1].

هذا التفوق في رسم الخرائط عند المسلمين لم يظهر إلا بعد أن توطـدت أقدام المسلمين في البلاد التي كانت تتمتع بحضارات سابقة، وذلك فـي العـصر العباسي الأول، حيث ترجمت كتب اليونان وغيرها. بـل أن الخليفـة العباسـي المأمون امر برسم صورة يظهر فيها العالم بأجوائه ونجومـه وقاراتـه وبحـاره ومواطن سكناه وصحاريه ومدنه. بحيث أن الخريطة التي عرفت باسم الـصورة المأمونية، واجتمع على صنعتها عدد من جغرافي عصره[2].

4- علم الجغرافيا :

انتشرت بين العرب قبل الاسلام كثير من المعارف الجغرافية وخاصة فيما يتعلق بالانواء وعلم النجوم لمعرفة الجهات والمسالك والطرق الصحراوية وانتاج الممالك المجاورة، ومدى أهميتها في التبادل التجاري وبخاصة ان العرب كـانوا يقومون بدور الوسيط التجاري. فكان لقريش نفسها في كل عام رحلتان رحلة في الشتاء، ورحلة في الصيف، ورد ذكرهما في قوله تعالى: (لإيلاف قريش ايلا فهم رحلة الشتاء والصيف)[3].

[1] عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، مكتبة الانجلو المصرية، 1973، ص:211 - 219

[2] نفسه

[3] قريش : 2

عرف المسلمون علم الجغرافيا وتنبهوا لاهميته بين العلوم نظراً للحاجة اليه في الحل والترحال، وفي العبادة والحج وطلب العلم، وفي الزراعة والتجارة. وفي ذلك يقول الجغرافي المقدسي .. (إن الجغرافيا علم لابد منه للتـاجر والمـسافر، والملوك والكبراء، والقضاة والفقهاء)[1].

وقد شجعت وحدة الدولة الإسلامية، وما وفره الحكم في الدولة الاسـلامية من استقرار فضلاً عن أن الاسلام كان يحث المسلمين على السفر والترحال فـي طلب العلم ونشر الدين. لذا قام المسلمون بنشاط واسع، فجابوا البلاد شرقاً وغرباً واقاموا علاقات تجارية مع بلدان لم يسمع الأوربيون عنها في العصر الوسيط، أو شكوا في وجودها. وكان المسلمون سباقين الى تصحيح كثيـر مـن المعلومـات الجغرافية التي توصل إليها علماء الجغرافيا قبلهم من الاغريق أو غيرهم[2].

5- علم النجوم والرياضيات والكيمياء :

ولم يكن لبعض علوم العجم كالنجوم والكيميـاء والرياضـيات والفلـسفة والطب، مكان ملحوظ بين العلوم التي اشتغل بها المسلمون في العصر العباسـي الاول ولكنها ازدهرت بعد ذلك، لان همتهم كانت مقصورة في الغالب على نقـل الكتب.

كانت هناك طائفة من المسلمين اخذوا يشتغلون بهذه العلوم كجـابر بـن حيان الذي اشتهر في الكيمياء، وعمران بن الوضاح وشهاب بن كثير فـي علـم الحساب، جعفر بن البلخي في علم النجوم[3].

---

[1] بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، المرجع السابق، ص: 283
[2] نفسه
[3] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 289

6- علم الفلسفة :

وهي كلمة يونانية الاصل معناها الحكمة، وفيلسوف معناها محب الحكمة، وقد كانت الفلسفة قديماً وأيام العرب لا يقصد بها دراسات الحكمة وحدها. وهـذا العلم لم يعرفه العرب إلا في عصر متأخر في الإسلام، فـي العـصر العباسـي الأول، وليس قبل ذلك فهو لم يظهر الا بقيام حركة الترجمة. ولكن العرب اضافوا إلى ما ترجم شروحاً وافية[1].

فقد أثار إدخال الفلسفة في الدين عداوة بعض رجال الدين مثـل الغزالـي الذي يعتبر واضع أسس السنة، ولكن الفلاسفة انبروا للدفاع عن أنفسهم، ولاسـيما ابن رشد، الذي ألف كتاب (تهافت التهافت) وشبه الغزالي بالجاهل الشرير.

7- علم الطب:

هو العلم الذي يدل على نهضة العرب في العصور الوسطى مع أن معرفة العرب به قبل الاسلام لم تتعدَ بعض الأفراد لحاجة الناس إليهم في شئون صحتهم، وذلك على عكس الشعوب التي فتحها العرب، وكانت على معرفة جيدة بهذا العلم.

وقد نهض هذا العلم على ايدي المصريين القدماء من قبل، ولدينا برديات عديدة محفوظة في متاحف لندن وبرلين ونيويورك تدل على ان المصريين القدماء كانوا على علم بأصناف الطب وما يلحق البشر من أمراض، وأنهـم ألفـوا فيـه الكتب، وقد اخذ اليونان علم المصريين بالطب واضافوا اليه معلومـات اخـرى، وان كان الأساس في علمهم به مستمداً من المصريين[2].

---

[1] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص: 211 - 242

[2] نفسه

هذا العلم عرفه المسلمين بالنقل في اول الامر وذلك في العصر العباسـي حيث كان اغلب النقلة من الذين تعلموا في مدرسة جند نيسابور بفارس، التي كانت باقية الى ذلك الوقت. لم يأخذ العرب الطب عن الفرس، وإنما أخذوه مـن كتـب اليونان مباشرة، وهي التي كانت تدرس في هذه المدرسة أو في غيرهـا، ومـن أشهر ناقلي كتب الطب يوحنا بن مأسويه وحنين بن اسحق وغيرهم[1].

8- علم الصيدلة :

أسهم العلماء المسلمون بنصيب كبير في علم الصيدلة، ولدينا كتب متعددة تبين جهود العلماء المسلمين وقد كانت قبل تحضيرها توجد دكـاكين العـشابين (العطارين) التي تحتوي على نباتات ضرورية لصنع العقـار اذ كانـت اغلـب العقاقير تحضر من الاعشاب الطبيعية . ولقد تم علم الصيدلة بفضل جهود عـدد من العلماء المسلمين يمكن ان نختار ابرزهم على سبيل الاستدلال.

والخلاصة فيما قدمه ان احمد إبراهيم بن خالد (ابن الجزار) لعلم الصيدلة انه كان يعرف اسم النبات باللغات العربية واليونانية، وبالفارسـية، والـسريانية، واللاتينية، ومن ثم يبين قوة الدواء من بارد أو حار اي درجة الحرارة والبرودة، من يابس أو رطب وبعد ذلك يتبعها بالتعريف العلمي وكان يصف الدواء بـشكل مفصل انواعه والردئ منه والجيد، كما يتطرف الى الخصائص العلاجية والحالات التي يؤخذ فيها، والدواء حسب التنظيم الصيدلي المتبع كالاشربة، حبوب وغيرهـا ثم يذكر طرق تحضير هذه الأدوية، وذكر الجرعات[2].

[1] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص: 241 – 299

[2] نفسه

مجالس المناظرة

إن مصطلح المناظرة مشتق من النظر والفكر، والمناظرة لا تقع الا بين اثنين، من حيث انها مفاعلة تقتضي وجود طرفين في النظر، وهي في نظر كثير من اصحاب المذاهب مرادف المجادلة[1].

المناظرة هي نوع ينتمي الى الخطاب الاحتجاجي في الادب الرسمي الذي كان يمثل الخاصة من الناس في المجتمع. أنها حوار اجتماعي، يدور في ظروف مسرحية بين متخاطبين واقعيين، ويرمي إلى الدفاع عن قضية معينه او الى كسب انتماء المستمع الى هذه القضية، وهي بذلك مرتبطة بتعددية الفئات الاجتماعية – الثقافية من مدارس، وفرق دينية، وتيارات فكرية، ومهن، يصادم بعضها بعضاً ، في تنافس يحث عن كسب الحماية والرزق قرب سلطة من السلطات، أو عن دعم شرعية فكرية أو عن حماية مذهب من المذاهب[2].

إن مصطلح مناظرة كان يستخدم في القرون الاربعة للهجرة للدلالة على نص يعرض حواراً بين شخصين، كل من الاثنين يخالف الأخر في الموضوع المطروح للمناقشة، ويتبنى فرضية تخالف فرضية الخصم، يحاول دعمها بالحجج والبراهين وادحاض فرضية الاخر وأدلته. هذا الحوار يدور دائماً في حضور اشخاص آخرين، يختلف عددهم من مرة الى أخرى، كما تختلف صفاتهم، فهم أمراء او خلفاء أو وزراء أو موظفون كبار في الدولة أو علماء أو مثقفون أو من العامة، وبديهي أن يختلف مكان المناظرة بحسب اختلاف الجمهور[3].

---

[1] بركات محمد مراد، "ابن حزم ومنهج الجدل والمناظرة"، جذور، السنة السابعة، العدد 16، لنان محرم 1425هـ - مارس 2004م، ص: 333

[2] ياسر عبد الرحيم،" المناظرة في الأدب العربي الإسلامي"، المعرفة، السنة (41) العدد (462)،سوريا مارس 2002م، ص: 136

[3] نفسه ، ص: 137

(وحكى لنا ابن رباط الكوفي وكان رئيس الشيعة ببغداد، ولم أر انطق منه – قال : قيل لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي ا عنه – من اين جـاء اختلاف الناس في الحديث؟ فقال : الناس اربعة : رجل منافق كذب على رسـول ا صلى ا عليه وسلم متعمداً، فلوعلم انه منافق ماصدق ولا اخذ عنه، ورجـلٌ سمع رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول قولاً أو راه يفعل فعلاً ثم غاب ونـسخ ذلك من قوله أو فعله، فلو علم انه نسخ ما حدث ولا عمل به، ولو علم الناس أنه نسخ ما قبلوا منه ولا اخذوا عنه. ورجل سمع رسول ا صلى ا عليـه وسـلم يقول قولاً فوهم فيه، فلو علم أنه وهم ما حدث ولا عمل به. ورجلٌ لم يكذب ولم يهم، وشهد ولم يغب). قال : وانما دلّ بهذا على نفسه، ولهذا قال : كنت اذا سئلت اجبت واذا سكت ابتدئت)[1].

الشروط العامة التي تحكم المناظرة بالتي هي أحسن :

القاعدة الأولى : البعد عن التعصب.

القاعدة الثانية : الالتزام باخلاق التحاور.

القاعدة الثالثة : الالتزام بالطرق العلمية السليمة في الحوار والمناظرة وهذه قاعدة يؤيدها ما جرى على ألسنة العلماء الذين كتبوا في فن البحث والمناظرة وهـي: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وان كنت مدعياً فالدليل).

القاعدة الرابعة : عدم تضاد المناظرة مع دعواه.

القاعدة الخامسة : البعد عن التناقض والتعارض في الدعوى أو في الدليل.

القاعدة السادسة: العلم.

---

[1] ياسر عبد الرحيم، المرجع السابق، ص: 147

القاعدة السابعة: التسليم بالقضايا المتفق عليها بين المتناظرين.

القاعدة الثامنة : القبول بالنتائج في نهاية الحوار[1] .

وللمتناظرين شروط تقتصر على اربعة ولابد من توافرها هي:

الشرط الأول: أن يكون المتناظران على علم بموضوع التناظر.

الشرط الثاني: أن يكون المتناظران على معرفة ودراسة كاملة بقوانين المنـاظرة وقواعدها حول الموضوع الذي يريدان المناظرة فيه.

الشرط الثالث: أن يكون الموضوع مما تجرى فيه المناظرة، فالبديهيات والمسلمات لا تجري فيها المناظرة.

الشرط الرابع: أن يلتزم الطرفان قواعد الفن في المناظرة ، فان كان الموضـوع عقدياً التزم الطرفان قواعد المناظرة في الموضوعات العقدية ان كان فقهياً كـذلك وهكذا[2].

كانت مجالس الخلفاء الراشدين في المسجد او المنزل، وتتميـز بالبـساطة والسذاجة، على نحو الحياة البسيطة التي كان يحياها إي عربي في عهدهم، فكانوا يقعدون على حصير أو جلد، فيدخل الناس عليهم في حوائجهم[3].

اختلفت مجالس الخلفـاء الامـويين الاجتماعيـة بـاختلاف شخـصياتهم وميولهم[4]. انتشرت مجالس المناظرة في الدور والقصور والمساجد بـين العلمـاء وفي حضرة الخلفاء في الفقه والنحو والصرف واللغة والمسائل الدينية. وكان يشد من أزر هذه المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والأمراء.

---

[1] نور الدين صغيري، "الحوار والمناظرة في منظور الشارع"، افاق الثقافة والتراث، السنة التاسعة، العدد السادس والثلاثون،سوريا ، شوال 1422هـ - يناير 2002م، ص: 20 - 23

[2] نفسه

[3] علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص: 128 - 129

[4] نفسه

وكان بعض الخلفاء والامراء يحضرون هذه المناظرات ويشتركون فـي الـرأي يؤيدون البعض وينقدون البعض. وكان العلماء يستعدون للمناظرات ويتسلحون لها رغبة في الشهرة وذيوع الصيت. وشهدت بغداد على نحو خاص منـاظرات فـي النحو والصرف واللغة [1].

للخلفاء العباسيين بحكم طبيعة دعوتهم السياسية واستفحال أمر المدينه فـي ايامهم مجالس حافلة بالأدباء والشعراء والمغنيين والمنادمين[2]. وامتـاز العـصر العباسي بتقدم مجالس المناظرة، ورونقها وتنظيمها وقيد المناقشات فيها، اهتمـوا بتذويق عباراتها، وطلاوة أساليبها، وبلاغة تراكيبها، وملاحظة قوة الحجة فيها[3].

كانت مجالس المناظرة في اوائل عهد بني العباس يقتصر البحث فيها على المسائل الأدبية والعلوم اللسانية. فلما ترجمت علوم القدماء في العـصر العباسـي ونشأ علم الكلام، شاعت المناظرة بين العلماء والفقهاء، وكانوا يتباحثون في الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي وغيرها من الابحاث الفلسفية المبنيـة على الكلام[4].

كما حكمت لنا بعض كتب النحو مناظرات بين العلماء في النحو والصرف واللغة، كالفصل القيم الذي عقده الاسيوطي في كتابه الاشـباه والنظـائر (فـي المناظرات والمجالس والفتاوى والمكتبات والمراسلات)[5].

---

1 حسن احمد محمود، احمد ابراهيم الشريف، العالم الاسلامي في العصر العباسي، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي 1977، ص: 257

2 احمد فريد رفاعي، المرجع السابق، ص: 174 - 181

3 نفسه

4 جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج2، الطبعة الثانية، دار الهلال، 1980 ، ص: 161 - 162

5 احمد امين، المرجع السابق، ص: 55

وكان الخلفاء من بني العباس تكثر مناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافيات وجاءوا منها بعلم مستظرف وانظار غريبة وهى بين أيدي الناس[1]. وقد استعد العلماء للمناظرات وتسلحوا لها رغبة في الـشهرة والحظـوة، وكـان الخلاف شديداً في المذاهب الفقهيه بين أنصار الرأي وأنـصار الحـديث، وكـان الخلاف شديداً بين الأمصار من بصريين وكوفيين وحجازيين وعراقيين وشاميين ومصريين.

وكانت العصبية للبلاد وللنمط العلمي فيها شديداً، وكان هذا وقوداً صـالحاً لاشعال نار المناظرة وحدتها وحياتها حياة عنيفة قوية[2]. وقد اشتهر المهدي بحبـه الشديد للعلم وخاصة الأدب، فكان فصيح اللسان، بليغ القول يحفظ اشعار العـرب ويتذوقها ويرددها في مجالسه. وأطلق المهـدي مجالـسه للـشعر والمناقـشات والمناظرات[3].

وقدم سيبويه أيام الرشيد الى العراق وهو ابن اثنتين وثلاثين سـنة، تـوفى وعمره اربعون سنة بفارس وحضر إلى العراق قاصداً يحيى بن خالد، فجمع بينه وبين الكسائي والاخفش، فناظراه وخطباه في مسائل سئلاه عنها، وحكمـاه إلـى فصحاء الأعراب وكانوا قد وفدوا على السلطان، وهم ابو فقمـس وابوثـاروابو الجراح وأبو ثروان. فكان الكسائي على الصواب وكلم الكسائى يحيى بـن خالـد فاجازه بعشرة الاف درهم فأخذه وعاد إلى البصرة ومنها الى فارس[4].

---

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 448
2 احمد امين، المرجع السابق، ص: 54 - 55
3 جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، 1964، ص: 254
4 ابن النديم، المصدر السابق، ص: 57

فناظره أيضا أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة) ومالك بالمدينة بحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضروات. احتج مالـك بما استدعى به من تلك الصيعان المنقولة عن ابائهم وأسلافهم، وبأنـه لـم يكـن الخضروات يخرج فيها شئ في زمن الخلفاء الراشدين فقال أبو يوسف لـو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت . وهذا انصاف منه[1].

كان المأمون مثقفاً ثقافه فارسيه، لان أمه كانت فارسية، وكان يميل الـى حرية الفكر والبحث، مما دفعه الى ايجاد (مجالس المناظرة) حتى يـتمكن عـن طريقها ازالة الخلاف بين العلماء فيما يدلون به من اراء علمية.

وقد روى القاضي يحيى بن اكثم انه قال أمرني المأمون عند دخوله بغداد ان أجمع له وجوه الفقهاء واهل العلم من بغداد فاخترت له من اعلامهـم اربعـين رجلاً وأحضرتهم، فجلس لهم المأمون فسئل في مسائل، وأفاض في فنون الحديث والعلم، فلما انقض المجلس، الذي جعلناه للنظر في امر الدين، قال المأمون (يـا أبا محمد... أني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا بتوفيق ا وتأييده سببا لاجتماع هذه الطوائف على ما هو ارضى واصلح للدين)[2].

وقد اشتغل الناس في عهد المـأمون بعلـوم الـدين والحـديث، وظهـر المجتهدون الذين يحاولون تفسير ما هو محل الاختلاف، واجتهد المأمون في بحث مسألة القرآن وخلقه، وعقد لهذا الغرض مجالس للمنـاظرة، يتنـاقش فيهـا فـي حضرته العلماء من القضاة والمحدثين، وكثر الجدل والنقاش في هذه المسألة[3].

---

[1] ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج 10 ، دار الريان للتراث، 1408هـ - 1988م، ص: 887

[2] علي ابراهيم حسن، التاريخ الاسلامي العام الجاهلي الدولة العربية والدولة العباسية، مكتبة النهضة العربية – القاهرة 1960، ص: 402 - 404

[3] نفسه

وظهر في عهد المأمون جماعة من كبار العلماء على رأسهم ابن الهزيـل وابن سبار والجاحظ وغيرهم من رؤساء الاعتزال، وهؤلاء تعمقوا في بحث مسألة خلق القرآن ليصلوا وليثبتوا هل هو قديم ام حديث، ، وليثبتوا أن ما وصـل اليـه المأمون من القرآن مخلوق هو الصحيح، وتناولوا بالبحـث صـفات ا سـبحانه وتعالى ووصلوا فيما وصلوا اليه ان ا لا يرى جهرة يوم القيامة[1].

ويظهر أن المأمون كان يرمى من عقد هذه الاجتماعات الى ان يصل الى الاتفاق على رأي واحد في مسألة خلق القرآن وموضوع الخلافة حتى تتفق كلمـة الامة في تلك الأمور التي كانت مصدر شقائها وبلائها، ولكن لم يكتب له التوفيق فيما رمى إليه[2].

كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء، فجاء رجل عليه ثيـاب قد شمرها، ونعله في يده، فوقف على طريق البساط وقال السلام عليكم، فرد عليه المأمون، فقال: اخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمـة أم بالمغالبة والقهر؟ قال: لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى امر المسلمين من عقد لـي ولأخي، فلما صار الامر الى علمت انى محتاج الى اجتماع كلمة المـسلمين فـي المشرق والمغرب على الرضا بي، ورأيت أنني متى خليت الامر اضطرب حبـل الإسلام، ومرج أمرهم، وتنازعوا، وبطل الجهاد والحج، وانقطعت السبل، فقمـت حياطة للمسلمين الى ان يجمعوا على رجل يرضون به فاسلم إليه الأمر ، فمتـى اتفقوا على رجل خرجت له من الأمر، فقال: السلام عليكم ورحمة ا وبركاتـه، وذهب[3].

---

[1] علي ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص: 404 - 405
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 448
[3] السيوطي، المصدر السابق، ص: 327

قال المأمون : لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال، وقـال : أعيـت الحيلة في الامر اذا اقبل ان يدبر واذا ادبر ان يقبل، وقال: أحسن المجالس ما نظر فيه الى الناس، وقال: الناس ثلاثة، فمنهم مثل الغذاء لا بد منه على كل حال ومنهم كالدواء يحتاج اليه في حال المرض، ومنهم كالداء مكروه على كل حال[1].

وكان الغرض من مجالس المناظرة في عهد المأمون الغرض منها (فض الفتن والمنازعات، وعدم تعطيل احكام ا سبحانه وتعالى، وحج البيت، والجهـاد في سبيل ا ، وان يكون لهم سلطان يجمعهم، واخذ حق المظلوم من الظالم، فقام بهذا الامر حياطة للمسلمين، وجهاداً لعدوهم، وضابطا لسبلهم، وأخذاً على أيـديهم إلى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضا به، فاسلم الأمر إلـى المأمون ويكون كرجل من المسلمين)[2].

أراد المأمون أن يجعل مجلسه (محكمة) يتنازع فيها الخصوم، وكل يدلى بحجته، والمتنازع هم العلماء، والنزاع حول الرأي الديني ثم تحكـم المحكمـة، فيجب أن ينفذ حكمها، كما ينفذ الحكم في المـسائل الماديـة، ويجـب أن يـذعن المتنازع لحكم المحكمة، فلا يقول قائل برأي الا ما قضت به المحكمـة. وفـات المأمون ان الامر في الجدل الديني والمناظرة العلمية ليس من السهولة بهذا القدر، وان الحجة يقتنع بها قوم ولا يقتنع بها آخرون.

وان عالماً قد يبين على قوله بينة ويظن انها انحصرت فيما قـال ، فـاذا عالم آخر يوقف الى بينة لم تتجه اليها انظار الباحثين من قبل ، وان صدور الحكم بناء على حجة قيلت في مجلسه من الصواب تنفيذه على الغائبين ، وان للناس من

---

1 السيوطي، المصدر السابق ، ص: 328

2 ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،ج3، الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة - مصر ، 1377هـ - 1958، ، ص: 21 - 22

الحرية في الرأى والاقتناع به والتدليل عليه أكثر مما لهم في الامـور القـضائيه المادية[1].

وذكر محمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أبي قال : كان المـأمون قـد أطلق لاصحابه الكلام والمناظرة في مجلسه، فناظره بين يديه محمد بن العبـاس الصولي على بن الهيثم حونقا في الإمامة ، فتقلدها احدهما ودفعها الأخر[2]. وعقد المأمون المجالس في خلافته للمناظرة في الاديان والمقالات[3].

أما مجالس المناظرة ومكانتها السامية في العصر المأموني ، فقد وقفـت على طريق عظيم منه على ما رأيناه عن المأمون وعلمه، وأدبه، ودينه، وسياسته، فمن ناقله القول وتكراره ان ننقلها. ونذكر أن المناقـشات الحـادة بـين سـيبويه والكسائي بشأن مسأله نحويه وبين الشعراء والادباء في تفضيل شاعر على شاعر، وبين السنيين والمعتزلة. في القول بخلق القرآن، وأبهـاء الأدب عنـد الأمـين والمأمون وأنصارها، وأمراء العرب كابي دلفُ وعبد ا بن طاهر وغيرهمـا ، لتدل اوضح الدلالة على قيمة ما كان للمناظرة في هذا العصر من مكانـة، حتـى أصبحت من أهم مميزاته وكبريات آثاره[4].

كانت هذه المجالس والمناظرات في عهد المأمون سبباً كبيراً من اسـباب الرقى العلمي، فقد حفزت العلماء للبحث والنظر، وحملتهم على الجد في تـصفية المسائل حتى يظهروا في هذه المجالس مظهر الخبير الثقة الدقيق النظر، وحتى لا

---

[1] احمد امين، المرجع السابق، ص: 58

[2] ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ج15، مطبعة دار الكتب المصرية، 1379 هـ 1959م ، ص: 234

[3] ابو حنيفة احمد بن داؤود الدينوري، الاخبار الطوال (حققه عبد المنعم عامر) ، (راجعه د. جمال الدين الشيال) ، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م، ص: 401

[4] احمد فريد رفاعي، المرجع السابق، ص: 406

يفشلوا فيكون في هذا الفشل القضاء عليهم، وكان العلماء يطيلون النظر ويعـدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف[1].

كان عصر المأمون من أزهى عصور العلم في الدولـة العباسـية لميـل المأمون نفسه الى تحصيل العلوم والمعارف ونشر المعرفـة بـين أفـراد الأمـة الإسلامية.

وقد تحلى ذلك في امداد (بيت الحكمة) في بغداد الذى وضـع اساسـه الرشيد بالكتب في مختاف العلوم والفنون مما جلبه من بلاد الهند والروم والفرس وغيرها، حتى أصبح اشبه بجامعة علمية، تحوي داراً للكتب يجتمع فيـه العلمـاء للترجمة والتأليف والدرس، به أماكن خاصة للناسـخين لنـسخ الكتـب لانفـسهم ولغيرهم باجور معينة، وأشرف عليه موظف عرف باسم (صاحب بيت الحكمة) كان الخلفاء يختارون من اتصف بسعة العقل والامانه العلمية[2].

وكان المأمون يشد من ازر الحركه التعليمية، فانشأ المكتبات وامتلك الكتب ووضعها في متناول كل محب للاستزادة من العلم، وكانت اكبر مكتبـات بغـداد خزانة الحكمة[3].

1 احمد امين، المرجع السابق، ص: 59
2 علي ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص: 407
3 حسن احمد محمود، احمد إبراهيم الشريف المرجع السابق، ص: 257

المساجد

المسجد هو المدرسة الاولى في الإسلام، كما كان المكان الاول للجماعة الإسلامية. ولما كان المسجد للصلاة، وكان طلب العلم من جملة الواجبات المفروضة على المسلم كالصلاة مثلاً. فقد فتحت المساجد أبوابها للدرس والتعليم[1].

والمسجد هو المكان الرئيسي لنشر الثقافة الإسلامية. وقد قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأ، وذلك لان الدراسة في سنين الاسلام الاولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح اسسه واحكامه وأهدافه. إن المسلمين في عصورهم الاولى توسعوا في فهم مهمة المسجد ، فإتخذوه مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم وداراً للقضاء، وساحة تتجمع فيها الجيوش، ومنزلاً لاستقبال السفراء[2]. وهذه تتصل بالمسجد اوثق اتصال ثم أن المسلمين في عصورهم الاولى توسعوا في فهم مهمة المسجد[3].

إن التعليم لازم الدعوة الاسلامية منذ فجر انبثاقها فكانت اولى الايات القرآنية الكريمة التي انزلت على سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم تشير الى العلم وبعض ادواته قال تعالى :(اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم)[4]، وتوالت الآيات القرآنية الكريمة تنزل على الرسول الكريم وكثير منها تحث المسلمين على طلب العلم وتشجيعهم على التعليم.

---

[1] علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص: 229

[2] احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، 1966، ص: 102

[3] احمد جاب الله شلبي، التعليم والتربية عند المسلم، الحضارة الاسلامية خلال الاربعة عشر قرنا الماضية، المجلد الاول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص: 57

[4] العلق ، 1-5

كما كانت تلك الايات الكريمة ترفع قدر العلم وتعلي شأن العلماء وتمجد العقل والمعرفة وتخفض من الجهل وأهله ، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولو الألباب)[1] وقال تعالى : (يرفع ا الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات)[2]، واعتبر القرآن الكريم التعليم من مهمات الرسول صلى ا عليه وسلم[3]، قال عز وجل :(ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، انك أنت العزيز الحكيم)[4].

فمن مبدأ الاسلام اتخذ رسول ا صلى ا عليه وسلم المسجد للدراسة، ففي البخاري عن ابي واقد الليثي قال: (رأينا رسول ا صلى ا عليه وسلم جالس في المسجد اذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان الى رسول ا صلى ا عليه وسلم فوقفا على رسول ا صلى ا عليه وسلم فرأى احدهما فرجه في الحلقة فجاس، وجلس الآخر خلفهم)[5].

فالمسجد إذن، المعهد الأول لنشر العلم، ومكان التعليم في العالم الإسلامي، وأصبحت المساجد في عهد الرسول صلى ا عليه وسلم والخلفاء الراشدين مراكز تهذيبية وتعليمية كان لها الاثر الكبير في نشر الوعي الديني الصحيح وبث روح المعرفة في نفوس المسلمين.

وقام الصحابة الكرام رضي ا عنهم بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم بتعليم المسلمين وتثقيفهم في شئون الدين ، وكانوا يجيبون على اسئلة السائلين فقد

---

[1] الزمر: 9

[2] المجادلة : 11

[3] حسين امين، "المسجد واثره في تطوير التعليم" ، دراسات تاريخية، العدد (5)، لبنان، يوليو 1981، ص: 5

[4] البقرة : 129

[5] احمد امين، المرجع السابق، ج2، ص: 52

كان عبدا بن عباس يجلس بفناء الكعبة وقد اكتنفه الناس يسألونه عـن تفـسير القرآن كما أن المسلمين كانوا يقصدونه من أقصى البلاد يسألونه عن المـشكلات الدينية[1].

كانت المساجد منذ قيام الدولة الاسلامية دوراً للعبادة وندوى للشورى فـي كبريات المسائل ودوراً للقضاء والفتوى ثم اصبحت مدارس لعلوم الدين من فقـه وتفسير وحديث ودراسة للاصول ثم مدارس لدراسة اللغـة وفروعهـا والنحـو والشعر والادب فهي مراكز لنشر الثقافة الدينيه والبحوث الادبية فوق انهـا دور للعبادة[2].

كان المسجد اعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقـه واللغـة وغيرها من العلوم. وأصبح كثير منها مراكز هامة للحركة العلميـة، وانـصرف بعض الفقراء المسلمين لطلب العلم في المسجد النبوي الشريف حيث بنى الرسول صلى ا عليه وسلم الصفة، وهي مكان مظلل في شمالي المسجد يأوي إليه فقراء المسلمين الذين حبسوا انفسهم لطلب العلم[3].

إن الحلقات العلمية بالمساجد لم تكن مقصورة علي الدراسات الدينية، إنما تعدتها إلى سواها من معارف ذلك العصر، ولا نزاع إن الدارسات الدينية كانت أهم ما يجذب الطلاب ويعني به المدرسون، ولكن مع هذا فإن النصوص تدل علي أن المسجد اتسع للعلوم الدينية ولسواها[4].

---

1 حسين امين، المرجع السابق، ص: 7
2 علي محمد راضي، المرجع السابق ، ص: 73
3 حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص: 421
4 احمد جاب الله شلبي، المرجع السابق، ص: 62

كانت المساجد ساحات التعليم الكبرى، فلم تكن بيوتا للعبادة فحسب، بل أنها كانت أيضا معاهد لتعليم الشباب حيث يلتفون حول الأساتذة يكتبون ما يلقونه ويملونه، وكان الأستاذ يستند عادة إلى اسطوانة في المسجد، ثم يأخذ في إلقاء محاضرته أو إملائها، وفي الحلقات الكبيرة كان يردد كلامه حتى يسمعه ويكتبه من بعد عن الحلقة، وكان لكل فرع من فروع المعرفة حلقة، فحلقة لفقيه، وحلقة لمحدث وحلقة لقصاص أو لمفسر، وحلقة للغوي، وأخرى لنحوي، وثالثة لمتكلم، وكانت حلقات الفقهاء أكثر الحلقات ازدحاما، وكان يقصدها الطلاب الذين يريدون أن يتولوا مناصب في القضاء أو الحسبة، كذلك الحال في حلقات المتكلمين[1].

وكان الداخل إلى المسجد يرى في طرف المسجد جماعة يصلون، وآخرون يقرأون القران، وفي ركن آخر جماعة من العلماء والأدباء يفسرون قصيدة من قصائد الشعر المعاصر أو الشعر الجاهلي، كما نجد في ركن ثالث عالم جلس حوله تلاميذه وهو يشرح لهم بعض أصول الحديث أو يفسر لهم آيات القران الكريم[2].

والمسجد اكبر معهد للدارسة، فلم تكن المساجد للعبادة وحدها، لكن كانت تؤدي فيها أعمال مختلفة، فهي مكان للعبادة تقام فيه الصلاة وتخطب الخطب وكان محكمة للتقاضي ومعهد للدراسة، ومن اكبر المساجد مسجد عمرو بن العاص في مصر ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة وغيرها من المساجد تقوم مقام المدارس والجامعات في هذا العصر[3].

---

[1] بشير رمضان التليسي ، د. جمال هاشم الذويب، المرجع السابق، ص: 255
[2] علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص: 229
[3] احمد امين، المرجع السابق، ج2، ص: 52

واخذ المسلمون يتسابقون إلى طلب العلم، وطبيعي فان المسجد هو المكان الملائم لاجتماع المسلمين، وكان مسجد الرسول صلى ا عليه وسلم أول مكان لنشر العلم وتعليم المسلمين أصول الكتابة والقراءة، وروى عن مكحول: قال حدثني عشرة من أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال: (تعلموا ما شئتم أن تعلموا فليس يأجركم ا حتى تعلموا)[1].

وأول عمل حضاري باشره الرسول صلى ا عليه وسلم بناؤه المسجد الشريف الذي عرف بالمسجد النبوي وأصبح مكانا للصلاة والعبادة وملتقى الرسول صلى ا عليه وسلم بالصحابة الكرام رضي ا عنهم، ومقرا للمجاهدين المسلمين، ومنه ينطلقون إلى سوح الجهاد دفاعا عن المبادئ الشريفة والزود عن حياض المسلمين[2].

وكان المسجد فوق اعتباره مكان العبادة والمكان الذي يؤم فيه الخليفة في الصلاة، مركزا لإدارة شئون الدولة أو الولاية. وكان المنبر أشبه بالعرش يلقى منه بيان الخليفة لسياسة الدولة، ويلقى فيه خطبته الأولى ويبين فيها سياسته في الحكم.

وفي المسجد تزاع القرارات الهامة التي تتعلق بالصالح العام، ويستقبل الخليفة السفراء ويدير شئون الدولة. والمسجد هو المكان الذي يتخذه علماء التفسير والحديث مقرا لهم، وهو المكان الذي يلجأ إليه المسلمون لصد الأعداء[3].

---

[1] حسين امين، المرجع السابق، ص: 6 - 7

[2] نفسه

[3] حسن ابراهيم حسن، المرجع سابق، ص: 422

والمساجد في كل المدن الإسلامية كانت مراكز تربوية، فإذا ما حل زائر في مدينة ما قصد جامعها وهو واثق انه سيجد فيه شيخا يعطي درسا[1]. وفي المسجد توجد مختاف الكتب الدينية والعلمية والأدبية وبذلك يكون دارا عامة للمسلمين ومركزا علميا للطلاب[2].

وفي المسجد تقرر كل شئون الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين فمن أراد شيئا من الخليفة ذهب إلى المسجد، ومن رغب التحدث إليه في المسجد وإذا فلم يكن المسجد مكانا للعبادة فحسب، وإنما كان مركزا للحياة السياسية والاجتماعية للدولة حيث كان يجتمع فيه الرسول صلى ا عليه وسلم وأصحابه ويقرر الغزوات، ويرسل البعوث ويبعث السفراء، وكان يستقبل سفراء الممالك المختلفة وأيضا كانوا يبايعون الخلافة للخليفة في المسجد[3].

وكان عامة الناس الذين يرغبون في تعليم أولادهم يبعثون بهم إلى المساجد حيث كانت تعقد حلقات لدراسة القرآن والحديث وعلى ذلك فأقدم المعلمين في الإسلام هم (القراء) وكان الخليفة عمر بن الخطاب يبعث بأمثال أولئك المعلمين إلى مختاف الجهات ويأمر الناس بأن يقابلوهم في أيام الجمعة في المساجد[4].

وفي كل مسجد مكان عالي لسيدنا يجلس عليه ومن حوله طلاب علمه ومريديه يشرح لهم الدروس وهم من حوله يصغون لشرحه ويستوضحونه ما يغمض عليهم فهمه، ولكن قل أن كانوا يناقشونه الرأي.

---

[1] فيليب حتى وآخرون ، المرجع السابق، ص: 244- 480

[2] نفسه

[3] علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص:229 - 244

[4] نفسه

فلما بدأ النضوج الفكري كان مجالس هؤلاء العلماء ندوة صحيحة تدور فيها المناقشة بين الأستاذ وتلاميذه النابهين ويشهد الطلاب حوارا ونقاشا وتبادل في الآراء. واختلافا في وجهات النظر وبذلك تتفتح الآفاق وتتسع دائرة التفكير وتظهر روح البحث. وكان سيدنا يقوم بتعليم الأطفال وتهذيبهم ويساعده العريف ومهمته الأولى تحفيظ الأطفال القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب[1].

وكان من ينتهي من مرحلة التعليم الأولى (الكتاب) ويطلب مزيدا من العلم يتجه فورا إلى المساجد التي كانت بمثابة المدارس الثانوية اليوم من حيث المستوى العلمي وتنوع الموارد واختلافها، ولم يكن يدرس بكل مسجد أستاذ واحد بل كان المسجد الواحد يجمع أكثر من أستاذ كل يحاضر فيما تخصص فيه واشتهر به وتلقي هذه المحاضرات وتدار هذه المناقشات في غير أوقات الصلاة وللطالب أن ينتقل من حلقه إلى أخرى بمحض إرادته وبمطلق حريته ينهل من حوض بما يشفي علته. وكان يسود هذا التعليم جو من الإخلاص من جانب المعلمين والوفاء للعلم من جانب طلاب العلم أنفسهم[2].

وكان المسلمون يحرصون علي بناء مسجد جامع عند إنشائهم المدن لأنه مظهر من مظاهر سيادة الدين الإسلامي في الأمصار المفتوحة ،وكانت المساجد التي شيدت في بوابة الفتح العربي من اهم المساجد .وكانت المساجد في عهد الدولة الأموية هي كل شئ بالنسبة للخلفاء والولاة وعامة الناس[3].

---

[1] علي محمد راضي، المرجع السابق، ص: 73 - 74

[2] نفسه

[3] على حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص: 243

أما المساجد التي أنشئت في العصر العباسي فقد اشتهرت في حلقاتها العلمية كمسجد المنصور ببغداد الغربية. ومسجد المهدي وهو مسجد الرصافة الذي تحدث فيه الإمام احمد بن حنبل ويحي بن معين وكان ببغداد الشرقية. وجامع القصر الذي بقيت منه منارته المعروفة بمنارة سوق الغزل وكان فيه أربع دكات يتناظر عليها فقهاء المستنصرية ويتجادلون بعد صلاة الجمعة[1].

ومما يدل على ان المساجد والمشاهد كانت تحتوي على خزائن للكتب أن كثيرا من العلماء وأصحاب الخزائن الخاصة كانوا يضعون كتبهم عليها[2].

وكان جامع المنصور قبلة أنظار الأساتذة والطلاب في ذلك العهد، ومما يدلنا علي انه كان يحتل مكانة سامية في نفوس العلماء أن الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم وسال ا   أن يحقق له ثلاث حاجات كان من بينها ان يتاح له أن يملي الحديث بجامع المنصور وكان الكسائي يجلس في مسجد المنصور يقرأ في علوم اللغة وكان الفراء والأحمر وابن السعدان بعض تلاميذه ، كما كان أبو العتاهية يملي في ذلك المسجد من شعره[3].

كانت مساجد العراق في الدولة العربية الإسلامية أكثر مساجد الأمصار اهتماما بالثقافة ، فشهدت مساجد العراق الكثير من مظاهر هذه النهضة العلمية والأدبية ، لذلك كانت المساجد بمثابة مدارس يقصدها طلاب العلم .

وكان الكميت الشاعر من ابرز معلمي العراق ،فكان يجلس في مسجد الكوفة لتعليم الصبيان وكثير ما شهدت مساجد البصرة المجالس الأدبية التي كان يعقدها الشعبي والاحنف بن قيس وتدور فيها محاورات أدبية حول التفضيل بين

1 ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية، الطبعة الثانية، مطبعة التضامن بغداد، (1389هـ - 1969) ص: 465 - 466
2 نفسه
3 احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية ، المرجع السابق، ص: 106

البصرة والكوفة كما شهدت المساجد كثيرا من المحاورات والمناقشات التي تدور حول العصبية القبلية[1].

أن المساجد في الحواضر الكبرى عامة وفي بغداد خاصة تطورت وظيفتها التعليمية في العصر العباسي الأول حكى ياقوت عن الاخفش قوله(وردت بغداد فوافيت مسجد الكسائي فصليت خلفه الغداة ، فلما أنفتل من صلاته و قعد في محرابه وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان سلمت وسألته عن مائة مسالة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها ، فأراد أصحابه الوثوب علي فمنعهم ولم يقطعني ما رايتهم عليه عما كنت فيه فلما فرغت من المسائل قال لي الكسائي با أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة ؟ قلت نعم ، فقام إلي وعانقي وأجلسني إلى جنبه ، ثم قال : لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك ويتخرجوا علي يديك وتكون معي غير مفارق لي ، فأجبته إلى ذلك)[2].

وكان الكميت بن زيد وحماد الرواية يجتمعان في مسجد الكوفة يتذكران أشعار العرب وأيامهم. وكان مسلم بن وليد يملي في المسجد الجامع، كما كان الناس يتناظرون في الشعر في المسجد.

وروي أن أبا العتاهية كان يجلس في المسجد وحوله الناس، كما روي أبو محمد اليزيدي أن اباعبيدة كان يجلس في مساجد البصرة. وكان العلماء المنصرفون إلى التدريس بهذه المساجد ينالون من عناية الخلفاء والأمراء

---

1 فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 242
2 ياقوت الحموي الرومي، معجم الادباء، تحقيق احسان عباس، ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، 1993 ، ص: 1375

والأثرياء الشئ الكثير وكان يتخذونهم لأولادهم معلمين ومؤدبين فكان أبو محمد يحيى بن المغيرة اليزيدي كان يعلم المأمون والفراء كان يؤدب أبناء المأمون[1].

ومن بين طلاب هذه الحلقات ظهر أئمة الفقه ونوابغ الشعراء والأدباء ورجالات العلم الأحرار الذين يجهرون بآرائهم متى آمنوا بصحتها، ولو كان رأيهم مخالفا لما اجمع عليه أهل السنة وهذه ظاهرة لم تتوافر في الجو العلمي العالمي إلا في القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين. ولكن الجهر بالرأي والتمسك به والإصرار عليه واختلاف وجهات النظر في المسائل العلمية والفقهية كل ذلك سجله التاريخ في عصر النهضة الإسلامية الكبرى.

كل هذه العوامل توافرت وتكاملت في عصر المأمون وتفاعل بعضها مع هذه النهضة في عاصمة العالم في ذلك الحين بغداد التي أصبحت مركز الإشعاع العلمي والأدبي في العالم كله[2].

قام المسجد ولا يزال وسيبقى ابد الدهر عنصرا أساسيا في حياة المسلمين بخاصة والإنسانية بعامة لما له من الآثار المهمة في توجيه الإنسان وتهذيبه وإعداده مواطنا صالحا يعمل لخدمة المجتمع بكل صدق وصفاء وبكل إخلاص ووفاء.

وسيبقى المسجد الإسلامي الإشعاع المنير لكل المؤمنين من اجل التحرر والخلاص من مزالق الدنيا وهفوات الزمن، والركن الأصيل بكل الدراسات الإنسانية الصافية والمورد العذب لكل الثقافات الإسلامية السامية. المسجد هو

---

1 حسن محمود، احمد ابراهيم الشريف، المرجع السابق، ص: 257

2 علي محمد راضي، المرجع السابق، ص: 74

المعهد الأول لتعليم المسلمين القراءة والكتابة وتثقيفهم وتعليمهم بأمور دينهم ومنه تخرج الرواد الأوائل من الصحابة الكرام بناة حضارتنا الزاهرة[1].

أن المساجد الإسلامية مدارس خرجت الرجال العظماء وأنجبت العلماء الأفذاذ، والمساجد كانت مدارس تعمل بحق من اجل إعداد جيل قوي يتحمل عبء المسئولية ، جيل يؤمن با عز وجل، وبرسالة الإسلام الخالدة، مدارس هذبت النفوس وصقلت العقول وأحيت الضمائر، فالنفس الطيبة والعقل المفكر المؤمن والضمير الإنساني الحي كانت دعائم حياة المسلم وعلائم الشخصية العربية الإسلامية.

أنها مدارس خرجت أبا بكر الصديق مثل الـصدق والوفـاء وعمـر بـن الخطاب رمز الإدارة القوية والعزيمة الثابتة وحمزة بن عبد المطلب نموذج الفداء والتفاني وعليا بن أبي طالب رمز الجهاد الخالد ونموذج العلم الكامـل وصـفحة الإسلام المشرقة بالحق والعدالة و بلال الحبشي، ومصعب بن عمير وعمار بـن ياسر ومعاذ بن جبل وزيد بن حارثة وطلحة بن عبيد ا وسعد بن أبـي وقـاص وأبا ذر الغفاري وغيرهم كثيرين، رضي ا عنهم أجمعين كان لهم اثر كبير فـي وضع الأسس الرصينة من اجل بناء مجتمعنا الإسلامي المجيد[2].

---

[1] حسين أمين، المرجع السابق، ص: 5 - 9

[2] نفسه

الفصل الثاني
بيت الحكمة

- تعريف بيت الحكمة
- مؤسس بيت الحكمة
- موقع بيت الحكمة
- وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه
- بيت الحكمة حركة الترجمة والنقل
- اهم المترجمين في بيت الحكمة
- المؤلفات

تعريف بيت الحكمة

علم الحكمة هو علم يبحث عن حقائق الأشياء ما هي عليه في نفس الأمر، بقدر الطاقة البشرية. وموضوعه الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان. وعرفه بعض المحققين بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية[1].

ان الترجمة في العصر العباسي كانت تتم في اماكن مختلفة يمكننا ان نذكر منها بيوت الحكمة العامة، وبيوت الحكمة الخاصة ودور العلم والمكتبات الخاصة، ومكتبات المساجد وخزائن المراصد الفلكية والمستشفيات، والمدارس والجامعات في البلاد الاسلامية كافة.

ان هذه المعاهد لم تكن بوجه عام للترجمة والتعريب فقط بل كانت في كثير من الاحيان تتخذ اماكن للتأليف والمطالعة والانتساخ والتوريق بالاضافة الى خزن الكتب المترجمة والمصنفة، والمصورات الجغرافية والفلكية، والخطوط المختلفة، وهي تدل على النشاط العلمي الذي قام به المسلمون خلال العصور.

ان بيوت الحكمة العامة هي خزائن الكتب التي اسسها الخلفاء الفاطميون من امراء المسلمين، اما بيوت الحكمة الخاصة فهي خزائن الكتب التي انشأها العلماء والادباء والأعيان في دورهم وكان يستفيد منها الناس، ومن اشهر الخزائن العامة بيت الحكمة البغدادي[2].

ان المكتبات كانت طريقة القدماء في نشر العلم، ولما كان يتعذر على الاغنياء اقتناء الكتب نظرا لانها كانت مخطوطات غالية الثمن لجأ من احب تعليم

---

[1] مصطفى بن عبد الله المشهور (حاجي خليفة)، كشف الظنون عن اساس الكتب والفنون، ج1 ، مطبعة بالاوفست منشورات مكتبة المثنى بغداد، ص: 676

[2] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 437

الناس الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح ابوابها للناس، كما فعل البطالسة في مكتبة الاسكندرية، والعباسيون في بيت الحكمة[1].

وبيت الحكمة كان اول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الاسلامي، بل انه كان اول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون، ولجأ اليها الطلاب، فكان بذلك اول مركز علمي يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا، ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها[2].وقد عنى الخلفاء المسلمون منذ فجر العهد الاموي بالكتاب العربي ونشره بين الناس وانشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسلات كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعا لهم ولاولادهم، وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل اقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم. وكان العلماء منذ زمن قديم يقفون كتبهم واوراقهم ومخطوطاتهم على خزائن المساجد ودور العلم يتقربون بذلك الى ا ويرجون نشر العلم ومعونة اصحابه[3].

ويوصف بيت الحكمة بأنه بناية كبيرة فيها عدد من القاعات، والحجرات الواسعة موزعة في اقسام الدار وتضم مجموعة من خزائن الكتب في كل خزانة مجموعة من الاسفار العلمية الخاصة التي تنسب في الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المأمون[4].

وان الذي وضع نواة لهذا البيت هو ابو جعفر المنصور، فقد جمع الكتب التي ترجمت له في الطب والنجوم والهندسة والاداب، كما الفت له بعض الكتب

---

[1] احمد شلبي، المرجع السابق، ص: 163 - 184

[2] نفسه

[3] عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، بيروت – دار العلم للملايين، 1973، ص: 157

[4] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 437

في الحديث والتاريخ والادب، فجمع المنصور هذه الكتب في خزانة كانت النواة لبيت الحكمة[1].

نجد المأمون رأى في منامه رجل حسن الشمايل فقال من انت فقال انا ارسطو فسأل عن الحسن فقال ما حسن في العقل وما حسن الشرع فكان هذا المنام من اول الاسباب في اخراج الكتب وكان بينه وبين ملك الروم مراسلات وكتب المأمون يسأله ارسال ما يختار من الكتب القديمة المخزونة بالروم فأجاب الى ذلك بعد امتناع فخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صلحب بيت الحكمة فأخذوا ما اختاروا وحملوه اليه[2].

واطلق المأمون على الدار التي ضمت الاف الكتب المتنوعة اسم بيت الحكمة[3]. فالخزانة كلمة معروفة وهي اسم الموضع الذي يخزن فيه الشئ، استعملوه للدلالة على المكان الذي حفظت فيه الكتب.

وقد اطلقوا بيت المال على المكان الذي يحفظ فيه مال الدولة، فلا يبعد ان يكونوا قد اطلقوا كذلك (بيت الحكمة) على المكان الذي حفظت فيه الكتب، اما كلمة (الحكمة) فقد استعملوها فيما يرادف فلسفة، فالظاهر انهم اطلقوا خزانة الحكمة وبيت الحكمة على مكان المجموعة من هذه الكتب، لان كلها او اكثرها ليست الكتب الدينية، بل من الكتب التي عنى بنقلها عن الامم الاخرى، واكثر هذه كتب فلسفة او حكمة[4].

---

[1] سعيد الدياجي، بيت الحكمة، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الموصل، (1392 هـ - 1972)، ص: 31

[2] حاجي خليفة، المصدر السابق، ص: 681

[3] علي محمد راضي، المرجع السابق، ص: 68

[4] احمد امين، المرجع السابق، ج2، ص: 64

اما بنو العباس فقد اهتموا اهتماما كبيرا بالعلم وكتبه. وانتشرت في عهدهم المكتبات العديدة[1]. وكان بيت الحكمة اعظم شأنا لما تحتويه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات والنصوص[2].

وهكذا صار في بيت الحكمة دوائر علمية منوعة لكل منها علماؤها وتراجمتها، ومشرفون يتولون امورها المختلفة[3].

1 عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق، ص: 157
2 سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص:31 - 32
3 نفسه

مؤسس بيت الحكمة

اختلف الباحثون في شخصية مؤسس بيت الحكمة، البعض يؤكد ان بيت الحكمة كان في حيز الوجود ايام الرشيد،اذ يقول: (عن علان الوراق الشعوبي كان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد و المامون والبرامكة)[1].

العشر السنوات الاولى من العصر العباسي اتخذ الفقه الاسلامي صورته الكاملة فوضع ابو حنيفة مذهبه الفقهي في عهد المنصور، ووضع مالك والشافعي في عهد هارون. اما عهد المهدي، فكان الانتاج محدودا، وفي عهد هارون تم جمع عدد كبير من الكتب وانتشر التعليم بين العامة ولذا انشأ هارون بيت الحكمة ليحفظ بها الكتب التي جمعها مما ساعد على انتشار التعليم[2].

وبيت الحكمة هو اول دار كتب عامة ظهرت في الاسلام انشأها الخليفة هارون الرشيد وعين عليها الموظفين، واتاها حاجتها من الكتب فتمت واشتدت، واخذت تؤتي اكلها طيبا يانعا[3]. وفي عهد الرشيد بدأ في جميع الكتب القديمة المختلفة على نطاق واسع وشيدت للكتب دار خاصة ووكل الإشراف على هذه الدار علماء نابهين[4].

كان يوحنا بن ماسويه مسيحي قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة ووضعه امينا على الترجمة، وخدم هارون والامين والمأمون وبقى على ذلك الى ايام المتوكل[5].

---

[1] ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج4، ص: 1631

[2] على حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص: 160

[3] زكريا هاشم زكريا، فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة – القاهرة، 1970، ص: 282

[4] علي محمد راضي، المرجع السابق، ص: 68

[5] موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1965، ص: 246

فقد كان في بغداد (بيت الحكمة) الذي انشأه الرشيد او المنصور ولكن تاريخ بيت الحكمة والخدمات العلمية التي اداها للفكرالعربي تخص المأمون وعصره[1].

وقام المأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة الذي انشأه ابوه[2]، ولما تولى المأمون الخلافة جعلها في مكان الرعاية والاهتمام منه، فجاب اليها الكتب من الهند ومصر وفارس واليونان وبلاد الروم وغيرها، واجزل مكافأة العلماء والمترجمين. اذ كان عالما واماما عاملا، واسع المعرفة، محبا للعلم والادب، مبجلا للعلماء والادباء فنشطت الحياة الفكرية لعهده ايما نشاط ومضت الحضارة قدما في سبيل النماء والازدهار[3].

بيت الحكمة الذي اسسه العباسيون ببغداد هو اول بيت حكمة عرف عند المسلمين كما كان اعظمها شأنا[4].

[1] نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر – بيروت، 1961، ص: 209

[2] علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص: 163

[3] زكريا هاشم ، المرجع السابق، ص: 282

[4] سعيد الدياجي، المرجع السابق ، ص: 31

موقع بيت الحكمة

اما موقع بيت الحكمة فلا يعلم ان كان جزءا من قصر الخليفة او كان بناية كبيرة مستقلة غير اننا نسترجع انه كان دارا خاصة بالكتب ضمن قصور الخلافة تتكون من عدد من الحجرات والخزائن[1]. ويقال ان دار الحكمة كانت ملحقة بقصر الخليفة لا في مكان خارجي، اذ لم ينقل الينا في تخطيط بغداد خبر عن بناء خاص للمكتبة، وقد اعتاد الخلفاء ان يفعلوا هذا في قصورهم فكان في قصر قرطبة مكتبة، وفي قصر الخليفة الفاطمي العزيز با مكتبة[2].

وقيل: ان الرواية النّسابة المعروف علان الشعوبي الفارسي الاصل، كان ممن ينسخ في بيت الحكمة، او في احد بيوت الحكمة هذه، اذ يلوح لنا انها كانت على الارجح اكثر من بيت للرشيد والبرامكة والمأمون[3].

انشأ علي بن يحيى خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة ايضا. وكانت دار العلم ببغداد هي بيت الحكمة نفسه بشكل جديد[4].

ولكن هناك فرق بين خزانة الحكمة ودور العلم، وخزانة الكتب فكانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة، وهي خزانة كتب ليس غير، اما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم، وخزانة الكتب جزءا منها[5].

---

[1] ناجي معروف، المرجع سابق، ص: 438
[2] احمد امين، المرجع السابق، ج2،ص: 64
[3] احمد فريد رفاعي، المرجع السابق ص: 375
[4] ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج5 ، ص: 2014
[5] ادم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع عشر، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة، ج1، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، 1366هـ - 1947، ص: 249

اما بيوت الحكمة الخاصة فهي المكتبات التي انشأها الاغنياء والوجهاء في دورهم وهي شبه عمومية وكانت تضم كتبا في مواضيع متنوعة كالمنطق والفلسفة والفلك وغيرها. وكان في متناول العلماء وذوي المكانة ان يصلوا حتى الى المكاتب الخاصة ليقرأوا ما يريدون[1].

[1] فيليب حتى وآخرون ، المرجع السابق، ج2 ، ص: 501

وظيفة بيت الحكمة

والعاملين فيه

يقترن بيت الحكمة البغدادي بذكر عدد من الاعلام المشهورين كالرشيد والبرامكة والامين والمأمون والمتوكل. كما يرد فيها ذكر عدد من العلماء والخزان والموظفين.

وكان يدير بيت الحكمة البغدادي مديرون وامناء على الترجمة ومعهم كتاب حذاق، كما كان يشتغل فيه علماء ونساخون وخزان ومجلدون من مختلف الاديان والاجناس والمذاهب والثقافات ومعهم الوراقون[1]. وكان لبيت الحكمة مدير يدير شئونه يسمى صاحب بيت الحكمة[2].

وكان سهل بن هارون مؤلف وشاعر عربي لمع نجمه في اواخر القرن الثاني ومستهل القرن الثالث للهجرة، وقد ولى سهل بعض المناصب الرفيعة في ديوان الخليفة فنجده في عهد هارون الرشيد عمل كاتب ليحيى بن خالد البرمكي، واصبح موضع التقدير والتعظيم في عهد المأمون فاستخدمه المأمون هو وبعض رجال الادب مثل سعيد بن هارون في خزانة الحكمة[3].

كان سهل بن هارون وسعيد بن هارون وسلم خزنة لبيت الحكمة الذي انشأه الرشيد وكان ابو عثمان الجاحظ يجله، ويصف براعته وفصاحته، ويحكي عنه في كتبه، ولسهل بن هارون عدد من الكتب، اما سعيد فقد كان بليغا فصيحا مترسلا،

---

[1] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 438

[2] جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها د. حسين مؤنس، ، ج3، الطبعة الثانية، دار الهلال 1958 ،ص: 229

[3] احمد الشنتناوي وآخرون، دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الثاني عشر، دار الفكر،(ب- ت)، ص: 311

وله من الكتب كتاب الحكمة ومنافعها وله رسائل مجموعة ولسلم نُقولٌ من الفارسي الى العربي[1].

ونجد ان سهل بن هارون بالاضافة الى ادارته بيت الحكمة كان يتولى الهيمنة على ادارة دار الكتب الخاصة بالدولة المأمونية في بغداد، وكانت تعرف ببيت الحكمة، كما كان يتولى تنظيم خزانة المأمون[2].

وكان هناك امينا على ترجمة الكتب هو يوحنا بن ماسويه فقد ظل امينا على الترجمة في زمن الرشيد، الامين، والمأمون، واستمر الى ايام المتوكل وبذلك يدخل المعتصم والواثق[3]. وكان يتولى الكتب التي امر الرشيد بنقلها من عمورية وانقرة، واكثرها كانت من كتب الطب[4]. وكان معظم الكتب التي ترجمها يوحنا من بلاد الروم حين سباها المسلمون[5]، وكان محمد واحمد الحسن بنو شاكر المنجم ممن عنى باخراج الكتب وان قسطا بن لوتما البعلبكي قد حمل شيئا معه فنقله[6].

وفي عهد المأمون كان يشرف قسطا بن لوتما على قسم الترجمة من اليونانية والسريانية والكلدانية، ويحيى بن هرون على قسم الفارسية القديم، شجع المناظرات والإنتاج بتأسيس الدوائر الخاصة بإشراف الأساتذة الأعلام[7].

وممن كان يشتغل في بيت الحكمة في عهد الرشيد فيترجم من الفارسية الى العربية ابو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي، وهو من ائمة المتكلمين، كان

---

[1] احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق، ص: 160
[2] احمد فريد، المرجع السابق ، ج1، ص: 375
[3] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 440
[4] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 31
[5] احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق، 153
[6] حاجي خليفة، ، المصدر السابق، ج1، ص: 681
[7] سيد امير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي، ترجمة رياض رأفت ،دار الافاق العربية (1421هـ - 2001) ، ص: 240

متضلعا في لغتين الفارسية والعربية وعهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية، وكان علان الشعوبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد[1].

وكان ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي منقطعا الى خزانة الحكمة للمأمون، وهو من اصحاب علم الهيئة وصاحب الزيج المعروف (بالسند هند)، وله مؤلفات بها الجبر والمقابلة، وكتاب العمل بالاسطلاب، ومن مؤلفاته كتاب الجبر والمقابلة. وهو احد العلماء الرياضيين الذين خدموا ببيت الحكمة، بما ألفوه من الكتب المختلفة في الرياضيات والهيئة. وكان بنو موسى بن شاكر من انشط العناصر التي كانت في بيت الحكمة وهم ثلاثة اخوة: محمد واحمد والحسن، وعرفوا ابنائهم ببني موسى المنجم.

وكان الاصمعي يؤلف في التاريخ، وانه اكمل كتابا في بيت الحكمة، وكان ذلك بأمر من امير المؤمنين هارون الرشيد، ومن الكتب التي استعان بها الاصمعي في اكمال كتاب سير الملوك هو كتاب (المبتدأ) الذي كان في خزانة بيت الحكمة[2].

اهتم الخلفاء العباسيون بحركة النقل، فانشأ المأمون دار العلم ومرصدها وزودها بمكتبة، وهذه كانت اساسا للتعليم العالي، وكان الطلبة يقيمون فيها[3].

لقد كان بيت الحكمة اول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الاسلامي بل انه كان اول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ اليها الطلاب[4].

---

[1] سعيد الدياجي ، المرجع السابق ، 32 - 36
[2] نفسه
[3] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص: 163
[4] عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق، ص: 158

ولا يعلم امر مكتبة الحكمة هل كانت مكتبة في ايام الرشيد ام معهد او مرصد ايضا. وقد بالغ بعضهم فزعم ان بيت الحكمة كان جامعة كبيرة تتصل بها مكتبة ومرصد وليس بين ايدينا من النصوص ما يؤيد ذلك[1].

وقد أمر المأمون ان تفرد للقراء حجرة من حجر الدار، وامر ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب، فأمر ان تفرد له حجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدما للقيام بما يحتاج اليه، وصبر له الوراقين، والزمه والامناء والمنقبين. فكان الوراقين يكتبون، وامر المأمون بتظيم كتبه في الخزائن فبعد ان فرغ من ذلك خرج الى الناس[2].

وقد صحب التوسع الذي اساسه بيت الحكمة الى ظهور صناعة الورق وذلك لاول مرة في عهد العباسيين، حيث يقال انها اخذت من الصين. وقبل ذلك كان يكتب على ورق البردي، الذي استعمل على يد المصريين ومن ايامهم، او حتى من الرفوف من الجلود او العظام او الخزف او الحجارة او أي شئ.

وفي عهد هارون بنيت مطاحن الورق في بغداد ثم انتشرت صناعته في انحاء البلاد العربية، ووجدت لها حوانيت الوراقين لبيعها فكان ظهور الورق هو فاتحة لانتشار الثقافة العربية[3].

واذا نظرنا الى منهج التدريس في بيت الحكمة وجدناه راقي فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية، والطبية، والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا والموسيقى[4].

---

[1] احمد امين ، المرجع السابق، ج2، ص: 64

[2] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 36

[3] عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الاول او القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين،ج1، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة، 1973، ص: 358

[4] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص: 163

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد كان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة، وبترجمة كتبها من اللغات المختلفة الى اللغة العربية، فاضاف الى خزانة جده المنصور ما جمع عنده من الكتب المترجمة والمؤلفة، فتوسعت الخزانة وصارت عدة خزانات لكل منها من يقوم بالاشراف عليها. وكان بها تراجمة يتولون ترجمة الكتب المختلفة الى العربية، ونساخون يشتغلون بنسخ الكتب التي تترجم، والتي تؤلف للخزانة، ولها مجلدون يجلدون الكتب، ويعنون بزخرفتها وتذويقها[1].

وكان المأمون الخليفة عالما مثقفا، فأولى النهضة العلمية عنايته الكاملة، واتجه الى ان يحصل على عدد ضخم من كتب القدماء، فوقف بطرق شتى الى الحصول على مجموعات نادرة ، ووضعها في خزانة الحكمة[2].

وقد اجتمع في بيت الحكمة نخبة ممتازة من العلماء والاطباء والفلكيين واصحاب الصناعات وترجموا مختلف الكتب التي تبحث في شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم في عهد المأمون. وكان في بيت الحكمة ما الفه العلماء والادباء في اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام والملل، وبعض هذه الكتب الفت بطلب من الخلفاء انفسهم لكي توضع في بيت الحكمة[3].

وعندما شيد العباسيون بيت الحكمة في بغداد وعينوا له جلة العلماء للترجمة والنسخ والاشراف ورتبوا لهم المرتبات والاجور السخية، عند ذلك اصبح للخلفاء كامل الحق في السيطرة على بيت الحكمة وتوجيه اموره على حسب ما يريدون[4].

---

[1] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 31

[2] احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق، ص: 163

[3] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 34

[4] احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق، ص: 160

ومن اشهر الذين اشتغلوا في بيت الحكمة البغدادي:

1. ابو سهل الفضل بن نوبخت: وكان يعمل في خزانة الحكمة لهارون الرشيد.
2. يوحنا بن ماسويه: وكان يترجم للرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.
3. سهل بن هارون: جعله المأمون كاتبا في بيت الحكمة وخازنا للكتب فيها.

ومن العلماء الذين اشتغلوا في بيت الحكمة:

1. يحيى بن ابي منصور الموصلي: منجم المأمون.
2. ثابت بن قرة.
3. عمر بن الفرخان الطبري.
4. ابن ابي الحريش وكان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون[1].

وهذا هو بيت الحكمة يحوي كل نادر وغريب، يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة[2].

وكان العلماء وبخاصة اولئك الذين كانوا يشغلون بعض مناصب الدولة، يلبسون هذا الزي الذي ارتضاه الخليفة، وظلوا كذلك حتى عهد الرشيد فاتخذوا لهم زيا خاصا. وكا ابو يوسف اول من غير لبس العلماء واقترح لتمييز هذه الطائفة عمامة سوداء وطيلسانا، ومنذ ذاك الحين اصبح هذا الزي ضروريا للمدرسين والفقهاء[3].

هذا هو بيت الحكمة الذي اسسه العباسيون لتسهيل سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك.

---

[1] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 441 - 442

[2] سعيد الدياجي ، المرجع السابق ، ص: 36

[3] عبد الله عبد الدائم، المرجع السابق، ص: 175

فقد كان يتعذر على الناس ان يقفوا على الكتب العلمية النادرة والتي ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية، فذلل الخلفاء للناس سبل المطالعة والدرس في بيت الحكمة، الذي انشئ لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الاخرى، والتي رغب الخلفاء بتيسيرها للناس ليقفوا على حقائق الامور وتراث الامم التي تقدمتهم في شتى النواحي الفكرية والعلمية.

ففتحوا ابواب الدار لكل قاصد وشوقوا الناس الى التعليم والاقبال عليه، ويسروا لهم المطالعة والدرس والاستنساخ. كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التي تجرى بين العلماء في هذه الدار في مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك[1].

[1] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 38

بيت الحكمة وحركة الترجمة والنقل

ما ان ظهر الاسلام وفتح المسلمون بلاد فارس ومصر وبلاد الشام في القرن السابع الميلادي، ليروا في هذه البلاد مدارس تحتضن فكر وفلسفة اليونان وعلومهم. والواضح ان العرب لم يجهلوا تلك العلوم جهلا تاما اذ كانت بعض تلك الثقافات قد تسربت اليهم او عرفوها اثناء رحلاتهم التجارية الى تلك الاقطار من ذلك ما يروى ان الحارث بن كلدة رحل الى ارض فارس، واخذ الطب من اهل جند يسابور، حتى اشتهر امره بين العرب، فأمر رسول ا صلى ا عليه وسلم باستدعائه رغم انه لم يكن مسلما لعلاج سعد بن ابي وقاص اثناء مرضه في حجة الوداع[1].

وعندما استقر العرب في البلاد المفتوحة واصبحت مراكز الثقافة اليونانية والسريانية تابعة لهم تغيرت الاوضاع، اذ تطلع العرب بفضل ما اثاره الاسلام فيهم من حماسة للعلم، وما حثهم عليه من تسامح من اهل الديانات الاخرى الى التزود بقسط نافع من تلك العلوم ولا سبيل الى ذلك الا بترجمتها الى لغتهم[2].

ان العلوم القديمة في الهلال الخصيب تعد بوجه عام سمة لثقافة عربية اصيلة ترجع اصولها الى الجزيرة العربية، مهد الساميين الاول وقد تكونت الحضارة العربية منها، ومن العلوم العربية الاسلامية ومما نقل من علوم الاغريق الفرس والهنود وغيرهم[3].

وتشتمل هذه المرحلة الطويلة بالعلوم التي اشتهرت بها الدولة العربية التي نشأت في هذه البلاد. وقد دلت التنقيبات على ان ما كان في امهات المدن من

[1] بشير رمضان التلسي، جمال هاشم الذويب، المرجع السابق، ص: 289 - 290
[2] نفسه،
[3] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 427

مدارس ومن خزائن للكتب، ومن مصنفات دونت على الواح الطين والاحجار، والجدران والتماثيل باللغة السومرية والاكدية والاشورية[1].

بدأت الترجمة في اول امرها بالترجمة اللفظية وسار على هذه الطريقة يوحنا بن بطريق، وابن ناعمة الحمصي وشاعت طريقتان:

الطريقة الاولى: وضع امام كل لفظ ما يقابله في اللغة المترجم اليها مع مراعاة ان يكون هذا اللفظ حاملا للمعنى، ومتوفرا فيه بعض الخصائص بقدر المستطاع.

اما الطريقة الثانية: فلم يكن بواسطتها فهم المعنى على وجهه الصحيح، ولما كانت تلك الطريقتان تؤديان الى فساد المعنى وخلل فيه، فقد رؤي العدول عنهما الى قراءة العبارة وفهم معناها، وما ترمي اليها ثم اداء هذا المعنى وانشائه في اللغة المترجم اليها، وكانت هذه هي الطريقة التي سلكها حنين وكان هو اول من استعملها ومن ثم قلده الاخرون[2].

ومن الدوافع التي دعت العرب الى نقل علوم الاجانب الى العربية:

1. الرغبة في الاطلاع على ما عند الامم الاجنبية من العلوم والاداب، كرغبة خالد بن يزيد بن معاوية في الاطلاع على كتب الكيمياء اليونانية، ورغبة بعض الخلفاء العباسيين في العلوم كالمنصور والرشيد والمأمون.
2. الجدل الديني والمناظرات ذلك ان المسلمين بدأوا في العصر الاموي يعقدون الحلقات والمجالس في المساجد الجامعة، ويكثرون من المناقشة والمجادلة في القضاء والقدر، وفيما اذا كان الانسان مسيرا او مخيرا

---

[1] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 427

[2] شلبي النعماني، مجمع البحوث الاسلامية ، ترجمة عبد العزيز عزت عبد الجليل، ، 1401هـ - 1981م، ص: 40

فانقسموا الى فئتين كل فئة تناصر احد الرأيين، وكذلك احتاجوا في العصر العباسي الى معرفة ما عند الامم الاخرى مما يفيدهم في تلك المجادلات والمناظرات.

3. معرفة الفلسفة والمنطق لليونانيين: لقد ادي الجدل والمناظرات بين المسلمين واليهود والنصارى الى ان يرى المسلمون ان اليهود والنصارى يجادلونهم بالفلسفة والمنطق. والمسلمين فاضطروا الى دراستها لاتخاذهما وسيلة للدفاع عن الدين الاسلامي.

4. التدوين بالعربية: ان الامم الاجنبية التي اعتنقت الاسلام او انضوت تحت لوائه صارت تدون علومها، وآدابها باللغة العربية التي تعلمتها بسبب الدين، او بسبب انتشار اللغة العربية، وغلبتها على لغاتهم الاصلية وتقربا من العرب الفاتحين للاستفادة من الوظائف والمناصب ودعاية لماضيهم واحيانا تحقيقا لبعض مآربهم القومية وغاياتهم[1].

كان من الطبيعي وقد تفشت عقول العرب للعلم واتجهت ميولهم للبحث والدرس، ان تكون الترجمة هي الوسيلة الوحيدة التي تحقق لهم اهدافهم فتعرض لهم بلغتهم كل ما تضمنته كتب القدامى من علوم وفنون ومن هنا كان للترجمة شأنها الكبير في تاريخ الحضارة العربية[2].

حركة الترجمة لها جذور كانت اول ترجمة في الاسلام على يد خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان، وكان يسمى (حكيم آل عمران). وهو فاضلا في نفسه له همة ومحبة للعلوم خطر بباله الترجمة فاحضر جماعة من الفلاسفة

[1] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 430 - 431
[2] محمد ابراهيم الصبحي، العلوم عند العرب، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها الفجالة، مصر،1960، ص: 9

فامرهم بنقل الكتب من اللغة اليونانية الى اللغة العربية وهذا اول نقل في الاسلام، كما ان اول تأليف في علوم الحكمة كان على يده[1].

وكذلك عربت الدواوين منذ عهد عبد الملك بن مروان بعد ان كانت بالفارسية واليونانية ونقل ديوان مصر من اليونانية والقبطية الى العربية في عهد الوليد بن عبد الملك[2]. ويمكن القول ان الجذور الاولى لحركة الترجمة الاسلامية ترجع الى العصر الاموي[3].

وجاء العصر الذهبي للترجمة في العصر العباسي الاول حيث فتح باب الترجمة على مصرعيه لنقل التراث العالمي الذي تضمنته امهات كتب الاغريق والرومان والفرس والهنود الى اللغة العربية، وكان ذلك نتيجة طبيعية لاقبال المسلمين المتزايد على دراسة العلوم، وبدأت حركة الترجمة تزدهر في عهد ابي جعفر المنصور[4].

وفي خلافة ابي جعفر المنصور (135 – 158هـ) (752 -774م) ترجمت له كتب وقد نقل له حنين بن اسحق بعض كتب ابقراط وجالينوس في الطب، كما نقل له ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة عن الفهلورية الى العربية، وكتاب اقليدس في الهندسة الى العربية.

وقد ترجمت للمنصور كتب في الطب والنجوم والهندسة والاداب كما الفت له بعض الكتب في الحديث واالتاريخ والادب فجمع المنصور هذه الكتب في

---

[1] حاجي خليفة، المصدر السابق ،ج1، ص: 681
[2] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2 ، ص: 345
[3] بشير رمضان التليسي، د. جمال هاشم الذريب، المرجع السابق، ص: 290
[4] محمد ابراهيم الصبحي، المرجع السابق، ص: 10

خزانة كانت النواة (لبيت الحكمة) وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب اوصى بها الى ابنه وولي عهده محمد المهدي.

وكان المهدي قليل العناية بكتب الحكمة، خاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد، فانه تشدد عليهم وقضى اكثر خلافته في تقصي اخبارهم والقضاء على دعاة هذه الحركة الهدامة ونكل بهم شر تنكيل، فضعفت حركة الترجمة على عهده واهتم بالمناظرات الفكرية. وتجنب العلماء في عهده ترجمة كتب الحكمة والفلسفة والنجوم، والكتب التي تبحث في الملل والنحل والاهواء والمعتقدات فلم تتوسع خزانة الحكمة في عهده[1].

وجاء عهد الرشيد واتسعت دائرة الترجمة التي كان جده المنصور قد اهتم بنقل العلوم من اللغات الاجنبية الى العربية كما زاد عدد الموظفين المشتغلين بالترجمة، وان كانت حركة الترجمة في زمنه لم تبلغ الشأن العظيم الذي بلغته في عصر المأمون، وتألق في عصره عدد من العلماء مثل الاصمعي النحوي المشهور، وجبريل بختيشوع[2].

ولي عدة علماء امر بيت الحكمة، فعهد الى فضل بن نوبخت امر العناية بالكتب الفارسية، والى يوحنا بن ماسويه وهو من جنديسابور ترجمة الكتب الطبية القديمة التي كان يعثر عليها في اسفاره بين البلاد وفي غزواته وجهاده، فقد حمل معه من انقره وعمورية وغيرها من بلاد الروم كتب كثيرة[3].

---

[1] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 31

[2] سيد امير علي، المرجع السابق، ص: 218

[3] علي حسني، المرجع السابق، ص: 161

وقد منح الرشيد العلماء الكثير من الحرية والتكريم فقد منح سفيان بن عيينة مائة الف درهم[1]. ومعظم الكتب التي نقلت عن الهنود في الطب والفلك والرياضيات، قد تم الانتهاء من نقلها في عصرالرشيد، وكان بعض علماء الهند قد وفدوا الى بغداد منذ عهد المنصور سواء من تلقاء انفسهم، او يدعوهم الخلفاء للحضور[2].

ولما كان زمن هارون الرشيد وغلب على بعض المدائن الرومية الكبرى كأنقرة وعمورية عثر على كنز ثمين من كتب اليونان فأمر ان تترجم له فترجمت. وبذلك كانت حركة الترجمة اقوى منها في عهد المنصور وكان للبرامكة يد طولى في الترجمة وعون المترجمين عليها بما كانوا يدرونه عليهم من الارزاق[3].

وقد وجهت العناية في بداية ايام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية ثم جاءت الثروة الضخمة في اخريات ايام الرشيد وخلال عهد المأمون عن طريق التراث اليوناني[4].

اما المأمون فيعتبر عصره قمة العهد الذهبي للترجمة والنهضة العلمية، فقد بذل الخليفة العباسي المأمون جهودا كبيرة للتنقيب عن الكتب الثمينة واوفد البعثات الى الهند والقسطنطينية وغيرهما، وكان يوفد احيانا رسـلا الـى جهـات بعيـدة فيقطعون الالاف الاميال بحثا وراء كتاب سمع عنه او وصلته اخباره.

ولم يتردد المأمون في الكتابة الى امبراطور الدولة البيزنطية طالبا منه ان يبعث اليه الكتب القديمة التي اهملها الروم والقوها في اديرتهم وقصورهم، فلمـا

---

[1] السيوطي، المصدر السابق، 285

[2] جلال مظهر، الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث، مركز الشرق الاوسط، القاهرة، 1996، ص: 118

[3] محمد الخضري، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية، ج1، المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة، 1990، ص: 219

[4] عبد الله عبد الدائم ، المرجع السابق، ص: 158

تردد الامبراطور وتلكأ في اجابة طلب المأمون هدده هذا بالحرب اذا لم يوافـق، فأذعن الامبراطور وسمح بدخول بعثة عربية الى بلاد الروم انتقت بعض الكتـب الهامة وحملتها الى بغداد[1].

وقام المأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة الذي انشأه ابوه، واهـتم بـانواع عدة من الثقافة ولم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية لانه كان مغرما بدراسـة كتب الفرس القديمة[2] فقط وانما اهتم بجمع الكتب الاغريقية[3] وبعـث وفـد لهـذه المهمة كي يطلع عليها، واضطر القصر الى الموافقة على ذلك بعد امتناع وتردد[4].

فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريـق وسـلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، ولمـا حملـوه اليـه امرهم بنقله فنقل وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الـروم واحـضر المأمون ايضا حنين بن اسحق وكان فتي السن وامره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربي واصلاح ما ينقله غيره فامتثل امره[5].

وكان المأمون يعطه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربـي مـثلا بمثل[6]. كما ان ميل المأمون الى الفلسفة والمنطق واتساع دائرة معارفـه العامـة وتأثره بمذهب الاعتزال ما دفعه الى ايجاد حركة نقل وتأليف قوية عنيفة وكان من نتائج اقبال العرب وغيرهم على تلك المؤلفات وامثالها ان تولد عندهم علم الكـلام والفلسفة الافلاطونية الجديدة[7].

---

[1] محمد ابراهيم الصبحي، المرجع السابق، ص: 10
[2] علي حسني، المرجع السابق، ص: 164
[3] احمد فريد رفاعي، المرجع السابق، ج1، ص: 377
[4] حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص: 681
[5] احمد فريد رفاعي، المرجع السابق ج1، ص: 377 - 379
[6] نفسه
[7] نفسه

وارسل المأمون الى حاكم صقلية بأن يرسل اليه مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتبها الفلسفية والعلمية الكثيرة، وان الحاكم تردد في ارسالها وكان بين الضن بها والحرص عليها والخوف من القوة المأمونية، والهيبة، ومن اجل ذلك جمع كبار رجالات الدولة وادلى اليهم بطلب المأمون فاشار عليه المطران الاكبر بقوله: ارسلها اليه، فوا ما دخلت هذه العلوم في امة الا افسدتها. فأذعن الحاكم لمشورته وعمل بها[1].

وبلغ من شغف المأمون بكتب الحكمة والفلسفة انه اذا ما عقد معاهدة مع بعض ملوك الروم فانه كان يشترط عليه ان يرسل اليه من نفائس كتب الحكمة التي في بلاده، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الامم[2].

وكان المأمون يجل علماء الملل الاخرى من علماء اليهود والنصارى وغيرهم ويحتفي بهم في مجلسه، لا لعلمهم فحسب بل لثقافتهم في لغة العرب وحذقهم في معرفة لغة اليونان وادابها وقد اخرجوا من اديرة سوريا وآسيا الصغرى وسواحل الشام وفلسطين كتبا خطية في الفلسفة والتاريخ وعلم الهندسة لعلماء اليونان وفلاسفتهم، ثم ترجموها الى العربية بدقة وعناية عظيمة[3].

ولم يكن التسامح يسود بيت الحكمة في زمن المأمون فقط بل في معظم عهود الخلفاء العباسيين، حبا بنشر الروح العلمية. وكانت الحرية التامة تسود بيت الحكمة، واشرفوا على خزنة الترجمة فيه، هم السريان واليهود والمجوس وغيرهم، ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء يعمل برأيهم ويأخذ عنهم علماء المسلمين ويرجعون الى اقوالهم وآرائهم.

---

[1] احمد فريد رفاعي، المرجع السابق ج1، ص: 375 - 376

[2] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 17

[3] انور الرفاعي، الاسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر، القاهرة ، 1393هـ - 1973، ص: 532

كما كانوا يؤدون شعائرهم الدينية بمنتهى الحرية، ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة ويناظرون المسلمين في الامور الدينية، ولربما كان هذا امام الخليفة نفسه[1]، ويتكلم اهل الملل والنحل بما يبدو لهم وبما يعتقدونه ويرونه اقـرب الـى العقل والمنطق[2].

وكثر في بغداد الوراقون وباعة الكتب واصبح هم الناس البحث والمطالعة، وظلت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون الى عدد من خلفائه، حتى نقلت اهم كتب القدماء الى العربية[3].

وكان حب العرب للعلم عظيما، ولم يترك الخلفاء طريقا لاجتـذاب اشـهر العلماء ورجال الفن في العالم الا سلكوها، ومن ذلك ان اشهر احد اولئك الخلفـاء الحرب على قيصر الروم ليأذن لاحد الرياضيين المشهورين في التدريس ببغداد[4]. وقد نمت الحركة الفقهية في بغداد في القرنين الثالث والرابع بعد الهجـرة نمـوا كبيرا وظهر كثير من المجتهدين من امثال محمد بن جرير الطبري[5].

وكان محمد بن جرير الطبري قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره وكان حافظا لكتاب ا عز وجل ، عارفا بالقرآن بـصيرا بالمعـاني فقيها باحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها وصحيحها، عارفـا بـاقوال الـصحابة التابعين ومن بعدهم من المخالفين في الاحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفا بايام الناس واخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الامم والملوك وكتاب في تفسير

---

1 سعيد الدياجي ، المرجع السابق، ص:17 - 381
2 نفسه
3 جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص: 161
4 غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله الى العربية عادل زعيتر، الطبعة الرابعة، مطبعة عيسى اليابي الحلبي وشركاه، 1384هـ - 1964م، ص: 174
5 محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص: 203

القرآن لم يصنف احد مثله، وكتاب سماه " تهذيب الاثار " لم يتممه وله في اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة[1].

وكان من اهم نتائج الترجمة:

1. عناية العباسيين عامة بامر الترجمة ورغبة خلفائهم فـي ترجمـة العلـوم العقلية.
2. وكان من نتائج الترجمة المهمة نشوء الوراقة والوراقين ببغداد، وانتـساخ الكتب المترجمة لعدد كبير من الناس الذين كانوا يحرصون على اقتنائها او بيعها. كما كانوا يعنون بدراستها ومناقشتها في مجالس الادب والمناظرة.
3. ولعل من ابرز المزايا التي اتصفت بها الترجمة في العـصور العباسـية اخذها بترجمة الكتب العلمية كالطب والرياضيات والفلك والكيمياء والفلسفة لحاجتهم الماسة اليها دون الكتب الادبية والدينية التي كان العرب يمتلكون منها ثروة طائلة. هذا ادى الى قيام التراجمة بالتعليق والتصحيح والتأليف، وانشاء دور العلم والمكتبات الخاصة[2].

وخلاصة القول ان العرب ترجموا الى لغتهم اكثر كتب العلوم التي سـعوا بالحصول عليها من طب وفلسفة ونجوم ورياضـيات ومنطـق وفلـك وفلاحـة وصناعات وتاريخ وادب ومال وغيرها، فاخذوا من كل امة احسن ما عندها من علوم وفنون واداب وصناعات[3].

---

1 ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج6 ، ص: 2442
2 ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 431
3 سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 26

اهم المترجمين في بيت الحكمة

سهل العباسيون على الناس ان يقفوا على الكتـب العلميـة النـادرة التـي ترجمت من اللغات المختلفة الى العربية، وصرف في سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها مبالغ كبيرة فذلل الخلفاء للناس سبيل المطالعة والدرس في بيت الحكمة الذي انشئ لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الاخرى، والتي رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الامور، وتراث الامم التي تقدمتهم في شتى النواحي الفكرية والعلمية.

وكانت كتب اليونان موجودة في بلاد المسلمين نفـسها، اذ كانـت اغلـب مراكز الثقافة اليونانية في العالم ضمت دار الاسلام، فكانت توجد في منطقة البحر الابيض المتوسط[1]، وفي الاسكندرية وفي الاماكن المجاورة للعـراق فـي بـلاد الجزيرة في حران وفي بلاد فارس في جنديسابور[2].

وانتقلت الدراسات اليونانية الى الحقل العربي عن طريـق ثلاثـة منـابع: اكاديمية جنديسابور، ثانيا سكان حران وانطاكية، ثالثا رهبان الجزيـرة[3]. وكـان للفلاسفة السوريين في حران وانطاكية فضلا كبيرا في نقل علـوم الاولـين الـى العربية. وكان هؤلاء العلماء المنبع الرئيسي الذي استمد منه العرب معلومـاتهم عن الثقافة والحضارة الاغريقية وقد تفوقوا على الاخرين بمعرفتهم اللغة العربيـة ولذا كانت ترجمتهم اكثر دقة[4].

---

1 عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ج1، ص: 352 - 353
2 نفسه
3 علي حسني ،المرجع السابق، ص: 156 - 158
4 نفسه

ولابد من وقفة قصيرة عند هؤلاء المترجمين والذي كان يزيد عددهم على المئة يذكر بعض منهم فمن اشتهر بالنقلة ابو زكريا يوحنا بن ماسويه الذي كـان ايام الرشيد وولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة مما وجدها بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين فتحها المسلمون ووضعه امينا على الترجمـة فـي بيـت الحكمة، ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه وخدم الرشيد والامـين والمـأمون ومن بعدهم من الخلفاء الى ايام المتوكل[1].

اما يعقوب الكندي فكان شريف الاصل بصريا وكان ابوه اسحق اميرا على الكوفة للمهدي والرشيد وكان يعقوب عالما بالطب والفلسفة والحـساب والمنطـق وتأليف اللحون والهندسة والهيئة وله في اكثر هذه العلوم تـأليف مـشهور مـن المصنفات الطوال[2].

وممن اشتهر في الفلك والرياضيات: محمد بن موسى الخوارزمي كان اول من الف الجبر والمقابلة والحساب، وكتبه في هذا الباب هي من خيرة مـا انتجـه الفكر، وهو الذي مهد للجبر والحساب في كثير من المسائل التي لا تزال تـدرس في هذه الايام، وكان قد جمع هذا بكتاب الفه للخليفة المأمون بناءا على طلبه[3].

وممن كان يشتغل في بيت الحكمة للرشيد، فيترجم من الفارسية الى العربية ابو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي، وهو من ائمة المتكلمـين وكـان متـضلعا

---

[1] جمال الدين علي بن يوسف القفطي، اخبار العلماء باخبار الحكماء، ليبزك ، 1903 ، ص: 380 - 381

[2] الملطي المعروف بابن العبري، تاريخ مختصر الدولة، وقف على طبعه ووضع حواشيه الاب انطوان صلحاني اليسوعي في طبعة اولى سنة الف وثمان مئة وتسعين واعيد طبعه سنة الف وتسع مئة وثمان وخمسين في المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنان ، ص: 149

[3] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 9 - 32

باللغتين الفارسية والعربية وعهد اليه بترجمة كتب الحكمة مـن الفارسـية الـى العربية[1].

واشتهر في الترجمة من الفارسية الى العربية ابن المقفع وكثيـرون، كـآل نوبخت، والحسن بن سهل الذي استوزره المأمون واحمد بن يحيـى بـن جـابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان، وابو حفص عمر بن الفرخان[2]، وهو رؤساء التراجمة والمتحققين بعلم النجوم[3].

ونقل ايضا حنين بن اسحق العبادي المتطبب[4]، كان تلميذا ليوحنا ماسـويه وكان طبيبا حسن النظر في التاليف والعلاج ماهرا في صناعة الكحل في جملـة المترجمين لكتب الحكمة واستخراجها الى السرياني والى العربي وكان فصيحا في اللسان اليوناني وفي اللسان العربي بارعا شاعرا خطيبا فصيحا اللسان، ونهـض من بغداد الى ارض فارس ودخل البصرة ولازم الخليل بن احمد حتى بـرع فـي اللسان العربي وادخل كتاب العين بغداد واختير للترجمة وائتمن عليها وتعلم لسان اليونانية باصله وكان جليلا في ترجمته وهو الذي اوضح معـاني كتـب بقـراط وجالينوس ولخصها احسن تلخيص وله كتاب في المنطق[5].

وعندما كان تلميذا ليوحنا بن ماسوية كان كثير الاسئلة، وكثيرا ما احـرج استاذه مما دفعه الى طرده من مدرسته ، فارتحل من بغداد الى بلاد الـروم، ثـم تركه لكي يدرس لعدة سنوات اللغة اليونانية حتى حذقها تمامـا، وعنـدما حقـق امنيته قصد البصرة كعبة اللغة العربية فاتقن فيها اللغة العربية[6].

1 سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 32
2 حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 346
3 احمد فريد رفاعي، المرجع السابق، ص: 380
4 حاجي خليفة، المصدر السابق، ص: 138
5 القفطي، المصدر السابق، ص: 171 - 174
6 نفسه

وكانت مهارته عاملا لتقريب المأمون له فكـان لا ينقطـع عـن اغـداق الصلات عليه. ولما كان حنين نفسه مغرما بالكتب، فقد تجول في اسيا الـصغرى وسوريا للبحث عن الكتب، وكان ابراهيم بن صلت قد ترجم كتاب بطليموس عـن الفلك الى اللغة العربية وراجعه وصححه حنين بن اسحق[1].

وكان اوحد عصره في علم الطب وكان يلحق بأبيه في النقل وفي معرفتـه باللغات وفصاحته فيها. وكان يعرب كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين الـى اللغـة العربية كما كان يفعل ابوه، الا ان الذي يوجد من تعريبه في كتب الحكمة من كلام ارسطاطاليس وغيره اكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب، وكان قد خـدم مـن الخلفاء والرؤساء من خدمة ابوه ثم انقطع الى القاسم بن عبيد ا وزيـر الامـام المعتضد با واختص به[2].

اما آل بختيشوع فكانوا في كل عهود الدولة العباسية واشـتهر مـنهم بـن بختيشوع الجنديسابوري، كان نصرانيا في ايام ابـي العبـاس الـسفاح وصـحبه وعالجه وعاش الى ايام الرشيد وكان جليلا في صناعة الطب موقرا فـي بغـداد لعلمه وصحبته للخليفة ويكنى ابا جبرئيل، وهو مشهور ومقدم عند الملوك وخـدم الرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكسب بالطب ما لم يكسبه احد[3].

---

1 علي حسني، المرجع السابق، ص: 163

2 ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان وانباء وابناء الزمان، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (1419هـ - 1998م) ، ص: 210

3 القفطي، المصدر السابق، ص: 100 - 132

اما جبرئيل بن بختيشوع هو بن جورجيس بن بختيـشوع الجنديـسابوري وكان طبيبا حاذقا نبيلا له تواليف في الطب وخدم الرشيد الخيفة ومن بعده وحـل محل ابيه بختيشوع عند الخلفاء ونشأ في دولتهم[1].

اما فيلسوف العرب ابو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي، يعـد واحد من اعظم الحكماء في تاريخ الانسانية ولد بالكوفة، وكان ابوه اميرا عليهـا، وهو من اسرة يمنية شريفة تعلم في البصرة وبغداد، وعمل ببغـداد فـي زمـن المأمون والمعتصم مترجما ومفسرا للكتب اليونانية وعالما بالنجوم ومؤدبا لاحـد ابناء المعتصم[2].

وصف بانه عالم بعلم الكلام ومعرفة الالفـاظ المنطقيـة فلازمـه لقـراءة المنطق، واشتهر في الملة الاسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسـية والهندية متخصص باحكام النجوم واحكام سائر العلوم وكان عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الاعداد وخـدم الملـوك مباشرة بالادب وترجم من كتب الفلسفة الكثير[3].

وصارت بغداد قبلة العالم الاسلامي في العلوم والمعارف اجتمع فيها علماء اعلام، خدموا التراث الانساني اجل خدمة، بما ترجموه من الكتب النفيـسة، ومـا الفوه من العلوم المختلفة وما ابدوه من اراء ونظريات[4].

---

[1] القفطي، المصدر السابق، 132

[2] كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، نقله الى العربية د. السيد يعقوب بكر، د. رمضان عبد التواب، ج4، دار المعارف بمصر، 1975م ، ص: 127

[3] القفطي، المصدر السابق، ص: 368

[4] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 19

المؤلفات

ومن مؤلفات حنين بن اسحق: (.... - 438هـ) (....- 1047م)

كتاب الاحكام عند الاعراب على مذاهب اليونانيين مقالتـان، كتـاب فـي المنطق احسن فيه التقسسيم والف في الاغذية كتابا عجيبا، في الادويـة المـسهلة والاغذية على تدبير الصحة[1]، وله من الكتب التي الفها سوى ما نقله مـن كتـب الحكماء القدماء كتاب احكام الاعراب على مذهب اليونانيين مقالتان، كتاب المسائل في الطب للمتعلمين، كتاب الحمام مقالة ، كتاب اللبن مقالة، كتاب الاغذية ثلاث مقالات، كتاب تقاسيم علل العين مقالة، كتاب اختيار ادوية علل العين مقالة، كتاب مداواة امراض العين بالحديد مقالة، كتاب الات الغذاء ثلاث مقالة، كتاب الاسـنان واللثة مقالة، كتاب الباه مقالة، كتاب معرفة اوجاع المعدة وعلاجها مقالتان ، كتاب تدبير الناقهين مقالة، كتاب المد والجزر مقالة، كتاب السبب الذي صارت له ميـاه البحر مالحة، كتاب الالوان مقالة، كتاب المولودين لستة اشهر مقالـة عملـه لام المتوكل، كتاب البول على طريـق الـسؤال والجـواب ثلاث مقـالات، كتـاب قاطيغورياس على رأي ثامسطيوس مقالة، كتاب قرص اللورد، كتاب القرح وتولده مقالة كتاب الاجال مقالة، كتاب تولد الحصاة مقالة، كتاب تولد النار بين الحجرين مقالة، كتاب اختيار الادوية المحرقة مقالة، كتاب استخراج كمية كتب جـالينوس كتبه الى ابن المنجم[2].

---

[1] القفطي، المصدر السابق، ص: 171 - 174

[2] نفسه

من مؤلفات ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح: الكندي: (.... - نحو 260هـ) (....- نحو 873م)

كتبه الفلسفية الاولى:

فيما دونت الطبيعيات والتوحيد كتاب في الفلسفة الداخلة، كتاب في انه لا تنال الفلسفة الا بعلم الرياضة، كتاب الحث على تعلم الفلسفة، كتاب في قصد ارسطوطاليس في المقولات، كتاب ترتيب ارسطوطاليس، كتاب في مقياسه العلمي كتاب اقسام العلم الانسي كتاب مائية العلم واقسامه، كتاب في ان افعال الباري كلها عدل ، كتاب في مائية الشئ الذى لانهاية له، رسالته في الابانة ان لايكون جرم العالم بلا نهاية، كتابه في الفاعلة والمنفعلة من الطبيعيات، كتاب في اعتبار الجوامع الفكرية، كتاب في مسائل سئل عنها في منفعة الرياضيات، كتاب في بحث المدعي ان الاشياء الطبيعية تفعل فعلاً واحداً بايجاب الخلقة، كتاب في الرفق في الصناعات، كتاب في قسمة القانون، رسالة في مائية العقل ، رسالة في رسم رقاع الى الخلفاء والوزراء.

كتبه المنطقيات :

كتاب المدخل المنطقي المستوفي، كتاب المدخل المختصر، كتاب المقولات العشر، كتاب في الابانة عن قول بطليموس في اول المجسطي حاكياً ارسطو طاليس في انا لوطيقا، كتاب في الاحتراس عن خدع السوفسطائية، كتاب في

البرهان المنطقي، رسالته في الاصوات الخمسة ، رسالته في سمع الكيان، رسالة في آلة مخرجة للجوامع.

كتبه الحسابيات:

رسالته في المدخل الارثماطيقي، رسالته في الحساب الهندي، رسالته في الاعداد التي ذكرها افلاطون في كتاب السياسة ، كتاب في تأليف الاعداد ، رسالته في التوحيد من جهة العدد، رسالته في الزجر والفأل من جهة العدد، رسالته في الخطوط والضرب بعدد الشعير، رسالته في الكمية المضافة، رسالته في النسب الزمانية ، رسالته في الحيل العددية وعلم اضمارها[1].

كتبه الكريّات:

رسالته في ان العلم وكل مافيه كري، رسالته في ان العناصر الاولى والجرم الاقصى كرية، رسالته في ان الكرة اعظم الاشكال الجرمية، رسالته في الكريات، رسالته في عمل السمت على كرة، رسالته في ان سطح ماء البحر كري، رسالته في تسطيح الكرة، رسالته في عمل الحلق الست واستعمالها كري، رسالته في تسطيح الكرة، رسالته في عمل الست واستعمالها.

كتبه الوسيقيات:

ورسالته الكبرى في التأليف، كتاب ترتيب النغم، كتاب المدخل الالى الموسيقي، رسالته في الايقاع ، رسالته في الاخبار عن صناعة الموسيقى، كتاب في خبر صناعة الشعراء[2].

---

[1] القفطي، المصدر السابق، ص: 368 - 370

[2] نفسه

كتب الطبيات:

كتاب الطب الروماني، كتاب الطب البقراطي، كتاب في الغذاء والدواء، كتاب الابخرة المصلحة للجو من الاوباء، كتاب الادوية المشفية من الروائح المؤذية، كتاب كيفية اسهال الادوية، في علة نفث الدم، كتاب تدبير الاصحاء، وكتاب اشفية السموم، كتاب في بحارين الامراض، كتاب نفسي (العضو الرئيسي من الانسان)، كتاب كيفية الدماغ، كتاب في علة الجزام كفانا ا شرها، كتاب في عضة الكلاب كفانا ا شرها، كتاب في وجع المعدة والنقرس، كتاب في قدرة منفعة صناعة الطب، كتاب في صنعة الاطعمة من غير عناصرها، كتاب في تغيير الاطعمة، كتاب في القراباذين[1].

كتبه في النجوميات:

رسالته في ان رؤية الهلال لا تضبط بالتحقيق وانما القول فيه بالتقريـب، رسالته في السؤال من احوال الكواكب، رسالته في كيفيات نجومية رسـالته فـي مطرح الشعاع، رسالته في الفصلين، رسالته فيما ينسب اليه كل بلد من البلدان الى برج او كوكب، رسالته فيما سئل عنه من شرح ما عرض له الاختلاف في صور المواليد، رسالته في تصحيح عمل نمو دارات المواليد، رسالته في اعمار النـاس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزمن، رسالته في رجوع الكواكب، رسالة فـي اختلاف الاشخاص العالية، رسالة في سرعة ما يرى من حركة الكواكب في الافق وابطائها.

كتبه في الهندسة:

[1] القفطي، المصدر السابق ، ص: 372

كتاب اغراض اقليدس، كتاب اصلاح اقليدس، كتاب اخـتلاف المنـاظر، كتاب اختلاف مناظر المرآة، كتاب في عمل شكل الموسطين، كتاب فـي تقريـب وتر الدائرة، كتاب في تقريب وتر السبع، كتاب البراهين المساحية.

كتبه الفلكية:

كتاب في امتناع مساحة الفلك، كتاب في ان طبيعة الفلك مخالفة لطبـائع العناصر وانها خامسة، كتاب ظاهريات الفلك، كتاب في العالم الاقصى، كتاب في سجود الجرم الاقصى لبارئه، كتاب في انه لا يجوز ان يكون جـرم العـالم بـلا نهاية، كتاب امتناع الجرم الاقصى من الاستحالة، كتاب في الصور.

كتبه في الاحكاميات:

كتاب تقدمة المعرفة بالاشخاص العالية، كتاب رسائله الثلاث في صـناعة الاحكام، كتاب مدخل الاحكام على المسائل. وله كتب في الجدليات وفي النفسيات والسياسة والاحداثيات والابعاديات والتقدميات والانواعيات[1].

مؤلفات يوحنا بن ماسويه: (.... - 243هـ) (....- 857م)

كتاب الكمال والتمام ، كتاب الكامل ، كتاب الحمام، كتـاب دفـع ضـرر الاغذية، كتاب الاسهال، كتاب علاج الصداع، كتاب السدر والدوار، كتاب لم امتنع الاطباء عن علاج الحوامل في بعض شهور حملهن، كتاب محنة الطبيب، كتـاب مجسة العروق، كتاب الصوت والبحة، كتاب ماء الشعير، كتاب الفصد والحجامة، كتاب المرة السوداء، كتاب علاج النـساء اللائـي لا يحـبلن، كتـاب الـسواك والسنونات، كتاب اصلاح الادوية المسهلة، كتاب الحمامات، كتاب القولنج[2].

---

[1] القفطي، المصدر السابق، ص: 371 - 372
[2] ابن النديم ، المصدر السابق ، ص: 354

وله تصانيف جميلة منها كتاب البرهان يشتمل على ثلاثين كتابـا وكتابـه المعروف بالبصيرة، كتاب المستجر كناس له قدر، كتاب الجزام، كتاب اصـلاح الاغذية، كتاب الرجحان في المعدة، كتاب النجح كناس صغير للمـأمون، كتـاب الادوية المسهلة ، كتاب محنة الطبيب، كتاب الصوت، كتاب مجسة العروق، كتاب ماء الشعير، كتاب المرة السوداء، كتاب التشريح[1].

مؤلفات بختيشوع: (.... – نحو 184هـ) (....- نحو 800م)

كتاب في الحجامة على طريقة السؤال والجواب[2]، كتاب التذكرة[3].

مؤلفات الحسن بن سهل:

كتاب الانواء[4].

مؤلفات جبرئيل بن بختيشوع: (.... - 213هـ) (....- 828م)

كتاب في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، كتاب عدد المقاييس[5].

مؤلفات ابو سهل الفضل بن نوبخت:

كتاب النهضمان في المواليد، كتاب الفأل النجومي، كتاب المواليد مفرد، كتاب المدخل، كتاب تحويل سني المواليد مفرد، كتاب التشبيه والتمثيل، كتاب المنتحل من اقاويل المنجمين في الاخبار والمسائل والمواليد وغيرها[6].

مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي: (.... بعد 232هـ) (....- بعد 847م)

---

1 القفطي، المصدر السابق، ص: 381

2 خير الدين الزركلي، اعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج2، الطبعة العاشرة، دار العلم للملايين، سبتمبر 1992، ص: 44

3 ابن النديم، المصدر السابق، ص: 355

4 القفطي، المصدر السابق، ص: 132 - 135

5 نفسه

6 ابن النديم، المصدر السابق، ص:333

كتاب الزيج نسختين اولى وثانية، كتاب الرخامة، كتاب العمل بالاسطرلاب، كتاب عمل الاسطرلاب، كتاب التاريخ[1].

مؤلفات ابوجعفر احمد بن يحى بن جابر البلاذري: (.... - 279هـ) (....- 892م)

كتاب البلدان الصغير، كتاب البلدان الكبير ولم يتممه، كتاب الاخبار وانساب، كتاب عهد اردشير ترجمة بشعر وكان احد نقله من الفارسي الى اللسان العربي[2].

---

[1] نفسه

[2] ابن النديم، المصدر السابق ، ص:164

الفصل الثالث

اثر بيت الحكمة في ازدهار الحركة العلمية

- بيت الحكمة وازدهار الحركة العلمية
- بيت الحكمة ودوره في نشر الحضارة العربية الى الغرب
- بيت الحكمة ونشأة المدارس في بغداد

بيت الحكمة وازدهار الحركة العلمية

في سنة 830م انشأ بيت الحكمة في بغداد وهو عبارة عن خزانة كتب ودار علم ومكتب ترجمة. فكان هذا المعهد من وجوه عدة اعظم المعاهد الثقافية التي انشئت، وفي ايام المأمون وخلفائه تمركزت الترجمة في هذا المعهد الجديد، ولقد دام عصر الترجمة هذا ما يقرب من قرن ابتداءا من سنة 750م، ولما كانت الارامية (السريانية) لغة اعظم المترجمين فقد نقل كثير من الكتب اليونانية اليها اولا قبل صوغها الى العربية[1].

وكان تشجيع الخلفاء للعلماء وعلى الاخص الرشيد ثم المأمون في بغداد، ورعاية الامويين لهم في الاندلس، من اهم اسباب انتعاش الحركة العلمية وازدهارها. اسس الرشيد بيت الحكمة او مدرسة الترجمة التي اخذت في عصر المأمون صور اكاديمية. فقاموا باكبر مجهود في ترجمة العلوم والفلسفة والمعارف السابقة، ولم يمضٍ وقت غير قليل حتى اصبحت جميع المعارف السابقة في متناول العرب في ترجمات متقنة جيدة، واصبحت الكتابة والاشتغال بالعلوم والاداب من اعظم المهن حتى ذاع المثل القائل: الكتابة اشرف المهن بعد الخلافة[2].

وتبع دور الترجمة هذا الذي كان في بيت الحكمة من انتاج دور آخر هو الابتكار والابداع. فلم يأت القرن العاشر حتى تحولت اللغة العربية تلك اللغة التي استعملتها الجاهلية اداة للشعر فقط وعرفها المسلمون، فتحولت الى لغة جديدة عجيبة دقيقة البنيان سهلة المنال تطاوع رغبة المرء في التعبير عن الفكر العلمي

[1] فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق، ج2، ص: 124
[2] جلال مظهر، المرجع السابق ص: 67

والافصاح عن الاراء الفلسفية ذات التعقيد. وفي الوقت نفسه اصبحت لغة السياسة والتخاطب الادبي من آسيا الوسطى الى شمالي افريقيا فالاندلس. ومنذ ذلك الحين واهل العراق وسورية ولبنان وفلسطين ومصر وتونس والجزائر ومراكش يفصحون عن اسمى افكارهم باللسان العربي[1]. وكانت الخطوة التالية بعد قيام دار الحكمة وتكوين المجمع العلمي الادبي في جزء من دار المأمون، وانتشار دكاكين الوراقين وهي مكتبات صغيرة منتشرة في كل اسواق بغداد[2].

وبيت الحكمة الذي اسسه العباسيون ببغداد هو اول بيت حكمة عرف عند المسلمين، كما كان اعظمها شأنا لما يحتويه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات والنصوص التي وقفنا عليها من هذه المؤسسة الثقافية لا تساير الباحث بل نجدها متفرقة المصادر، ذكرت عرضا ومن الصعب ان نقف على اخبارها بصورة متسلسلة[3]. وكان في بيت الحكمة ما الفه العلماء والادباء في اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام وغيرها وبعض هذه الكتب الفت بطلب من الخلفاء انفسهم لكي توضع في بيت الحكمة[4].

ان ازدهار الحضارة لم يكن خاليا من التأثير في درجة رقي الجماعة في العلم، فصار العرب يفهمون الفرق بين العالم المتخصص في علم من العلوم والاديب المطلع على النتائج الاخيرة للعلوم. ونبغ مؤلفون نشروا نتائج ابحاثهم

[1] فليب حتى وآخرون ، المرجع السابق ، ج2 ص: 127
[2] علي محمد راضي، المرجع السابق، ص: 73
[3] سعيد الدياجي، المرجع السابق ، ص: 31 - 35
[4] نفسه

العلمية رويدا رويدا. كما نبغ في الادب شعراء مفكرون الى جانب اساتذة الادب المتقدمين في ساحة الاسلوب القديم[1].

اصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم. ولم يمضِ قرنـان حتى كان العرب قد استوعبوا هذه المعارف استيعابا تاماً، وعمدوا في نفس الوقت الى تصحيحها ثم اضافة معارف جديدة لم يسبقهم اليها احد[2].

واما المترجمين فكانوا ينقلون الى العربية ذخائر العلوم التي خلفتهـا اسـم الحضارة القديمة من المصريين واليونان والفرس وغيرهم[3].

قال الاصمعي: كان هارون الرشيد الامام اذا نشط يرسل الي ، فكنت احدثه بحديث الامم السالفة، والقرون الماضية، فبينما انا احدثه ذات ليلة فقال: يا اصمعي اين الملوك وابناء الملوك؟ فقلت: يا امير المؤمنين مضوا لسبيلهم، فرفع يديه الـى السماء ثم قال: يا مفتي الملوك ارحمني يوم تلحقني بهم، ثـم صـالحا صـاحب مصلاة، فقال: انطلق الى صاحب بيت الحكمة، فمره ان يخرج اليك سير المـوك وائتني به، فاخرج اليه الكتاب، فقال: فأمرني ان اقرأ عليه، فقرأت منه تلك الليلـة ستة اجزاء .... ثم اوصاه الخليفة بالذهاب الى ابي البحتري للاستعانة به في كتابة ما كان بين آدم وسام بن نوح، ولم يكن مدونا في سير الملوك الذي يبدأ بسام بـن نوح، فذهب اليه واخبره بما امر به امير المؤمنين، فاخذا كتاب المبتدأ ونسخا منه هذا الجزء ونسقاه وجعلاه في عشرة اوراق قدمت على سير الملوك[4].

---

[1] ڤاليق ق . بارتولد، تاريخ الحضارة الاسلامية ،ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر، 1966م ، ص: 83 - 84

[2] جلال مظهر، المرجع السابق، ص: 68

[3] زكريا هاشم ، المرجع السابق ، ص: 280

[4] سعيد الدياجي ، المرجع السابق ، ص: 36

فنرى مما تقدم ان الاصمعي كان يؤلف في التاريخ، وانه اكمل كتابا كـان في بيت الحكمة، وكان ذلك بأمر من امير المؤمنين هارون الرشيد.

وجاء ايضا ان المأمون امر الفراء ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو، وما سمع من العرب، فامر ان تفرد له حجر الدار، ووكل به جواري وخدما للقيام بما يحتاج اليه، حتى لا يتعلق قلبه، ولا تتشوق نفسه الى شئ ... وصبر له الـوراقين والامناء والمنفقين، فكان الوراقون يكتبون حتى صنف الحدود، وامـر المـأمون بكتبه في الخزائن، فبعد ان فرغ من ذلك خرج الى الناس[1].

وان حمزة الاصفهاني (المتوفي حوالي سنة 350 هـ - 961م) عنـدما وضع كتابه (سني ملوك الفرس) استعان بثماني نسخ مترجمة الى العربيـة مـن كتاب (تاريخ ملوك الفرس) كانت احدى هذه النسخ في خزانة المأمون.

وممن لازم بيت الحكمة ونقل عن كتب خزائنه هو ابن النـديم (المتـوفي سنة 38هـ - 990م) صاحب الفهرست، فاطلع على ما فيه مـن كتـب نـادرة ومصورات جغرافية، وخطوط لمختلف الامم ولغات متنوعة. فكان ما فـي بيـت الحكمة من كتب وغيرها من المصادر التي عول عليها في تأليفه الثمين[2].

شهدت الحضارة العربية الاسلامية مولد علماء مهرة في علم الكيمياء مثل جابر بن حيان. واهتم علماء الفيزياء بعلاج كثير من الظواهر الطبيعية المرتبطـة بطبيعة المواد والصورة، والضوء والمغناطيسية والحركة والـدوافع. وقـد اخـذ المسلمون بادئ الامر علم الفيزياء عن اليونان، واضافوا اليه اضـافات صـائبة، فنقلوا عنهم.

---

[1] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 36 - 37

[2] نفسه

واهتم المسلمون ايضا بعلم النبات ويرجع ذلك الى اهمية النبات كمـصدر لغذاء الانسان والحيوان على حد سواء، فضلا عن اهمية الخشب واستخداماته في السكن والتدفئة وطهي الطعام وغيرها من الاغراض[1].

اثرى العصر العباسي المكتبة الاسلامية بالمؤلفات التي انتجت فيه وذلك في مجالي العلوم الانسانية، والعلوم التجريبية.

اما العلوم الانسانية:

واشهرها العلوم الشرعية، فقد برز فيها جهابزة لا زال العلماء والبـاحثون في عصرنا الحالي يعملون على مصنفاتهم التي تفوق الحصر في مجملها.

لقد كانت الثقافة الدينية في العصر العباسي نافذة تدخل منها سائر الثقافات، وبابا لكثير من العلوم والابحاث النظرية والروحية التي غاص فيها اهل المعرفة. وهذا هو العصر الذي حظي بأئمة الفقه الاسلامي.

اما العلوم التجريبية:

وجدنا العصر العباسي حافلا باعلام واقطاب هذه العلوم وبخاصة بعد نمو حركة الترجمة، التي افاد منها علماء المسلمين في مجالات العلوم التجريبية بصفة خاصة، كالطب والصيدلة، والهندسة ، والفلك وغيرها من العلوم[2].

هذا هو بيت الحكمة الذي اسسه العباسيون لتسهيل سبل الدرس والمطالعـة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك. فقد كان يتعذر على الناس ان يقفـوا علـى الكتب العلمية النادرة، والتي ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية[3].

---

[1] بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، ، المرجع السابق ، ص: 299- 302

[2] هاشم عبد الراضي عيسى، قضايا ومواقف في التاريخ العباسي، الطبعة الثانية، مطبعة العمرانية للاوفست – الجيزة ، 1421هـ - 2001م ، ص: 301 - 305

[3] سعيد الدياجي ، المرجع السابق، ص: 37

وهكذا استعمل المسلمون المترجمين وكانوا حلقة اتصال بين المسلمين وبين هذه العلوم وعن طريق هؤلاء المترجمين نقلت علوم اليونان والسريان والقبط والفرس والهنود الى اللغة العربية[1].

ونجد ان العرب حفظوا للبشرية كثيرا من تراث الاقدميين، عن طريق ترجماتهم الكثيرة من الكتب، من الضياع النهائي، وقد كان العالم يجهل هذه المؤلفات جهلا تاما، الى ان ترجمت الى العربية[2]. كان المسلم العربي حاذقا، ذكيا، شغوفا بالاطلاع، راغبا في الاستفادة والتزود من هذا الزاد الفكري الرفيع، ومن اجل هذا كانت استفادته شاملة[3]، وانتفاعه واضحا[4].

ذلل الخلفاء للناس سبل المطالعة والدرس في بيت الحكمة، الذي انشئ لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الاخرى، والتي رغب الخلفاء بتيسيرها للناس ليقفوا على حقائق الامور، وتراث الامم التي تقدمتهم في شتى النواحي الفكرية والعلمية، ففتحوا ابواب الدار لكل قاصد، وشوقوا الناس الى التعلم والاقبال عليه، ويسروا لهم المطالعة والدرس والاستنساخ. كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التي تجرى بين العلماء في هذه الدار، في مختلف العلوم والفنون وابداء الاراء وغير ذلك[5].

هذا التسامح كان يسود بيت الحكمة الذي اسسه الخلفاء انفسهم، حبا بنشر الروح العلمية الخالصة بين كافة الطبقات. كما صارت الكتب التي تبحث في شتى

---

[1] توفيق يوسف الراعي، الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة العربية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ش – م – م ، 1408هـ - 1988م ، ص: 305

[2] توفيق الراعي، المرجع السابق ، ص: 307

[3] احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق ، ص: 35 - 234

[4] نفسه

[5] سعيد الدياجي، المرجع السابق، ص: 38 - 39

النواحي الفكرية متيسرة في دكاكين الوراقين بعاصمة الرشيد والمأمون في الوقت الذي كانت اوربا تتخبط في دياجير الظلام[1].

كما اصبح العراق في العصر العباسي اهم مكان للحركة العلمية في الـدنيا لا سيما بغداد التي حصلت على شهرة عالمية واسعة لا تدانيها في ذلـك شـهرة مدينة من مدن الامبراطورية العباسية. ان في العلوم الاسلامية والعربية، او فـي نقل العلوم الاجنبية، وقد ساعدهم على ذلك معرفة علمـائهم بعـدد مـن اللغـات كالسريانية والاغريقية والفارسية والهندية والارامية والحبشية والعبرية[2].

وظل بيت الحكمة على العهد به قائما يشع الحكمة والمعرفة مشرقا يـتلألأ حتى دهم الشر بغداد[3].

---

1 نفسه
2 ناجي معروف، المرجع السابق ، ص: 428
3 زكريا هاشم ، المرجع السابق، ص: 282

بيت الحكمة ودوره في

نشر الحضارة العربية الى الغرب

يستدل على اهتمام العرب بالعلم والثقافة والادب من العبارة التي كانت تظهر منقوشة على ابواب معاهد العلم في الاندلس [العالم يقوم على اربعة اركان: معرفة الحكيم وعدالة العظيم وصلاة التقي وبسالة الشجاع]، ومما يلفت النظر ان المعرفة جاءت في هذه العبارة التي تصف المثل العليا الاسلامية في اوربا[1].

بدأ العرب نهضتهم العلمية في القرن الثامن بترجمة الاثار الدخيلة، ثم اخذوا في بحث المسائل الفكرية وتدوين العلوم الرياضية والطبيعية، حتى كان القرن الرابع عشر، ومن هنا اخذت جذوة نشاطهم في الجهود، واذن كوكب سعدهم بالافول[2].

يخيل الى الناظر في الحضارة العربية انها ظهرت وخبت، وكأنها لم تظهر ولم تخب، ولكنه متى امعن النظر في العوامل التي بعثت النهضة الفكرية في العالم اللاتيني ايقن ان ذلك التراث المجيد الذي نشأ وازدهر في ستة قرون، وهدى بنوره الفكر الانساني في ابان عصوره المظلمة، لم يضمحل كسحابة صيف، ولا تلاشى كحلقات المياه بل نفذ الى موطن آخر من مواطن الاسرة البشرية وساعد على بعث فكر ناشئ، كان يتلمس طريقه الى الحياة ويحاول الخروج من الظلمة الى النور[3].

---

[1] فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 181

[2] كمال اليازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين – بيروت، 1966 ، ص: 335 - 336

[3] نفسه

لعب المسلمون دورا كبيرا في خدمة الثقافة العالمية فقد انقذوا هذه العلوم من فناء محقق اذ تسلموا هذه الكتب في عصور الظلام، فبعثوا فيها الحياة، وعن طريق معاهدهم وجامعاتهم وابحاثهم وصلت هذه[1] الدراسات الى اوربا، فترجمت مجموعات كبيرة من اللغة العربية الى اللاتينية، وقد كان ذلك اساسا لثقافة اوروبا الحديثة، ومن اهم الاسباب التي ادت الي النهضة الاروبية.

ان العهد العباسي الاول ليزهو باليقظة الفكرية التي تمت فيه، وقد كانت هذه اليقظة ذات اثر بعيد في الحركات الفكرية والثقافية في العالم وكانت تعتمد الى حد بعيد على الثقافة الاجنبية، بخاصة الفارسية والهندية واليونانية[2].

كانت الشعوب العربية اللسان في مقدمة من حمل مشعال الثقافة والمدنية في العالم قاطبة، وبواسطة جهود هذه الشعوب ايضا تسنى لعلوم الاقدمين وفلسفتهم ان تعود الى اوربا مشروحة ومضاف اليها. فسهل هذا السبيل لنشوء عصر النهضة في اوربا الغربية[3].

وبدأت النهضة العلمية في القرن الثامن بالترجمة والنقل، وكذلك بدأت اوربا في القرن الثاني عشر وكان النقل من اليونانية الى العربية عن طريق السريانية، ومن الهندية الى العربية عن طريق الفارسية، ثم غدا الى العربية عن لغة الاصل مباشرة، وكذلك كان النقل من العربية الى اللاتينية عن طريق العبرية او الاسبانية، ثم صار بينهما بلا وسيط. وكما ان الحركة الفكرية لم تنشأ عند

---

[1] احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق، ج3، ص: 231 - 233
[2] نفسه
[3] فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق، ص: 182

الغرب على سبيل الفطرة، بل سبقها عهد من الاستعداد، وشعور بالحاجة لذلك هي لم تجئ في العالم اللاتيني الا بعد استعداد وبعد شعور حاد بالحاجة الماسة[1].

اما العالم الاسلامي فقد دخل الفكر الاوربي من نواح عدة، ذلك بأن الاندلس سطرت فصلا رائعاً في التاريخ الفكري للعصور الوسطى الاوربية، فبين منتصف القرن الثامن ومطلع القرن الثالث عشر كانت الشعوب العربية اللسان في مقدمة حمل مشعال الثقافة والمدنية في العالم قاطبة. وبواسطة جهود هذه الشعوب ايضا تسنى لعلوم الاقدمين وفلسفتهم ان تعود الى اوربا مشروحة ومضاف اليها، فسهل هذا السبيل لنشوء عصر النهضة في اوربا الغربية ولعل اعظم علماء الاندلس واكثرهم ابتكارا علي بن حزم وهو احد الاثنين او الثلاثة الذين يعتبرون اخصب مؤلفي الاسلام واغزرهم مادة[2].

لقد كانت الصلة الفكرية بين العرب واللاتينيين على اشدها في صقلية، بل كانت هنا ارسخ منها في اي مكان آخر، فضلا عن الناحية العلمية الصرفة. بدأت الحضارة العربية تتوثق في صقلية في النصف الثاني من القرن العاشر[3].

ولم تكن الاندلس، في هذا الموضوع اقل شأنا من صقلية، فقد كانت قرطبة من اشهر مدن العالم حضارة وابرزها عمرانا، وارقاها علما، فكانت تباري في ذلك القاهرة وبغداد والقسطنطينية، وقد كانت في الغرب مقصد طلاب العلم وهدف الراغبين في الاستشفاء، وغرض الساعين وراء الخبراء في الصناعات الدقيقة، والفنون الجميلة. وكان مما عمل على انتشار الحضارة العربية نحو الشمال، هجرة

---

[1] كمال اليازجي ، المرجع السابق، ص: 337

[2] فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 182

[3] كمال اليازجي ، المرجع السابق، ص: 340

المستعربين الى اسبانيا المسيحية. وكان كثير من هؤلاء من اهل علم فنقلوا معهم ما وعوه من آثار هذه الحضارة لا سيما المدونات الغربية[1].

اما اسبانيا فقد انتشرت معاهد العلم انتشارا كبيرا حتى ليقال ان قرطبة وحدها كان بها عدة مئات من هذه المعاهد، وفي اكثر دور العلم هذه كانت[2] تدرس الفلسفة والادب والتاريخ والعلوم بفروعها المختلفة بجانب الدراسات الدينية. وقد ظهرت في اسبانيا معاهد للدراسات العالية، كتلك التي يطلق عليها الان جامعات، ومن اشهر الجامعات الاسبانية جامعة قرطبة واشبيلية ومالقة وغرناطة. والى جامعات اسبانيا هذه كان يفد الطلاب الاوربيون للتعلم والدراسة[3].

كانت صناعة الورق البلدية في الاندلس، وهي من اهم ما اسداه الاسلام الى اوربا لما راجت سوق الكتب الى هذا الحد. ومن مراكش التي ادخلت اليها هذه الصناعة من الشرق انتقلت الى اسبانيا في منتصف القرن الثاني عشر. ومن الالفاظ التي تذكرنا بهذه الحقيقة (رزمة) العربية التي دخلت محرفة الى لغات اوربية كثيرة، ثم تطرق فن صنع الورق الى ايطاليا نحو سنة 1270م بفضل تأثير المسلمين في صقلية على الراجح. اما في فرنسا فالفضل الاول في ظهور مصانع الورق يعود الى تأثير اسبانيا لا الى تأثير الصليبيين العائدين كما ادعى بعضهم، ومن هذه البلدان انتشرت هذه الصناعة الى سائر انحاء اوربا[4]. وكان من اهم المواطن التي نشطت فيها حركة الترجمة هي مدينة طليطلة في اسبانيا[5].

---

1 كمال اليازجي، المرجع السابق ، ص: 341

2 M.M.SHARIF ، دراسات في الحضارة الاسلامية، ترجمه وعلق عليه د. احمد شلبي، الفكر الاسلامي ومتابعة آثاره، ج1، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية، 1966م ، ص: 49 - 50

3 نفسه

4 فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق ، ص:187

5 كمال اليازجي ، المرجع السابق، ص: 348

ونجد ان المسلمين اخذوا كثيرا من علوم البيزنطيين، والاقباط والهنود، والفرس، ولكن من الحق ان نؤكد ان المسلمين حين ترجموا هذه العلوم الى لغتهم زادوا عليها وحوروا فيها، وصبغوها صبغة جديدة، حتى اصبحت علومهم هم، وسارع العرب حين تيسرت لهم هذه المواد الى ترجمتها دون اضاعة وقت، فترجموا الى لغتهم من الهندية ما يعرف الان بالارقام العربية، كما ترجموا الحساب بما في ذلك الكسور العشرية، اما الجبر فاذا لم نقل انه من اختراعهم فمن الواجب ان نعترف بجهدهم في التطور به، والاوربيون مدينون للعرب بما وصلوا له في العلوم الرياضية من نتائج[1].

وابرز دور العرب في تكوين الفكر الاوربي هو العلم بمختلف فروعه: الطب، الطبيعة، الكيمياء، الفلك، الرياضيات، التاريخ الطبيعي والفلاحة. اما في الرياضيات فقد كان للعرب الفضل الاكبر لانهم هم الذين ادخلوا النظام العشري في العدد، اذ كان اليونانيون انما يستعملون في العدد الحروف الابجدية للعد من 1 الى 999، ثم يستعملون الشرطة والشولة والنقطة للعدد فيما بعد ذلك حتى الاف الالاف[2].

واما الطلاب الاوربيين فقد كانوا في دراساتهم لمادة الجبر يعتمدون اعتمادا جوهريا على كتاب عربي ترجم الى اللاتينية، والف هذا الكتاب في عهد المأمون عقب التجارب التي قام بها محمد بن موسى، ولم يكن العرب مترجمين او مهذبين لهذه العلوم فحسب، بل انهم اخترعوا كثيرا وبخاصة في الفلك، فاخترعوا

---

1 احمد شلبي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص: 232

2 عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الاوربي، الطبعة الثانية ، منشورات دار الادب – بيروت ، يناير 1965، ص: 21

الاسطرلاب لقياس الارتفاع واستطاعوا ان يعرفوا وقت ظهور النجوم ذوات الاذناب، وساعة كسوف الشمس وخسوف القمر[1].

وقد توصل الاطباء العرب لابحاث بارزة جعلت دراسة الطب في اوربا عبأً عليهم لاكثر من اربعة قرون فبخلاف ما نقله العرب عن الاطباء اليونان، اكتشف العرب عدة اكتشافات بالغة الاهمية، منها (الجرب) الذي اكتشف جرثومته الطفليلية (ابن زهر). والعرب وضعوا قواعد التشخيص معتمدين على النبض والبول[2].

وبذلوا مجهودات عظيمة في اكتشاف ما سموه باسم الاسباب والعلامات، اي اسباب الامراض واعراضها، كما عنوا بدراسة انظمة الطعام واضافوا الكثير الى الفارماكوبيا مستعينين بابحاث علماء النبات. كما كان لهم الفضل في انشاء وتنظيم المستشفيات العامة التي كان المرضى يعالجون فيها مجانا على حساب الدولة، وبعض المدن انشأوا وظيفة كبير الاطباء او مقدم الاطباء.

انتقل الطب العربي مبكرا الى اوربا، فأنشئ مدارس للطب، وكلها كانت تستخدم الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية اساسا لتدريس الطب. والطبيب العربي الذي يبرز اسمه في الحال هنا هو (محمد بن زكريا الرازي) اكبر طبيب عربي فكتابه (الحاوي) هو دائرة معارف طبية كبرى، وقد ترجم الى اللاتينية لعنوان Liber Dictus Elhavi وهو يتضمن اراء جديدة عن طريقة الحجامة واعصاب وعضلات منطقة الحنجرة[3].

---

1 احمد شلبي ، المرجع السابق ،ج3 ، ص: 232

2 عبد الرحمن بدوي ، المرجع السابق، ص: 26 - 27

3 نفسه

وكان للفنون العربية ايضا اثر ما في نهضة اللاتين. ففي الموسيقى نقلوا الى اللاتينية الكثير من الكتب التي وضعها العرب، اشهرها كتاب الفارابي اجله في تاريخ الموسيقى. وفي الادب نجد من ازجال الاندلس وموشحاتها اثرا في الشعر البروفنسالي ونجد لقصة ابن طفيل، طلا في حكاية كليلة ودمنة اثرا في اقاصيص لافونتين، وفي الكوميدية الالهية لونا من حديث المعراج ورسالة الغفران.

ونجد للعمارة العربية وفن الزخرفة والتزويق، والحفر والتصبيغ، من آثار بارزة في الصناعات اللاتينية. ولئن عز الدليل في بعض المواطن، على ان اعلام النهضة اللاتينية فقد اخذوا عن العرب، ففضل العرب في السبق الى الكثير من تلك المستنبطات والكشوف، من التعابير العلمية والمصطلحات الصناعية واسماء الادوات والسلع العربية، وما نحتوه من اعلام الاماكن والافلاك والرجال، وما اقتبسوه من مظاهر العمران الشرقي الخالص[1].

اما في النثر والحكايات والروايات والقصص الادبية التي اخذت تزدهر في اوربا الغربية خلال القرن الثالث عشر يظهر فيها بلا ريب تأثير الكتب العربية السابقة سواء اكانت هندية ام فارسية الاصل.

والحق ان العرب اتحفوا الغرب بعدة اراء جديدة ومعلومات واسعة النطاق في الجغرافية الفلكية والرياضيات. ففي اسبانيا عظم الاقبال على العلوم الفلكية، ونقلت معظم كتب الفلك الاسلامية في اسبانيا الى اللاتينية[2]. ومن دراسات العرب

---

[1] كمال اليازجي، المرجع السابق، ص: 357

[2] فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 182

للنجوم جاءتنا اسس علم المثلثات الكروية والاستوائية. فالعرب هم الذين وضعوا علم المثلثات كما وضعوا علمي الجبر والهندسة التحليلية[1].

هنالك حقيقتين هامتين:

اولا: ان المسلمين لم يكونوا مترجمين فقط ، وانما كانوا مبتكرين ومبدعين في هذه المواد التي نقلوها من اللغات الاجنبية، فقد فسروها واضافوا اليها شروحا وتعليقات عظيمة القيمة، جليلة القدر.

ثانيا: لعب المسلمون بهذا دورا كبيرا في خدمة الثقافة العالمية، فقد انقذوا هذه العلوم من فناء محقق، اذ تسلموا هذه الكتب في عصور الظلام فبعثوا فيها الحياة، وعن طريق معاهدهم وجامعاتهم وابحاثهم وصلت هذه[2] الدراسات الى اوربا، فترجمت مجموعات كبيرة من اللغة العربية الى اللاتينية، وقد كان ذلك اساسا لثقافة اوربا الحديثة، ومن اهم الاسباب التي ادت الى النهضة الاوربية[3].

الاصالة قدر مشترك بين جميع الحضارات فكل حضارة ابدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارات العالمية ولم توجد قط حضارة تفردت بالابداع او تفردت بالنقل اوخلت من السمة التي تميزها بين سمات الحضارة[4].

حمل العرب مشعل الفكر الانساني ستة قرون، كانت اوروبا في غضونها غارقة في ظلمة الجهل. بدأوا في ان احبوا الفكر اليوناني، ثم عالجوه بالشرح والتعليق. حتى اذا نضجوا اخذوا في التأليف والوضع، مستأنفين السير بالعلوم من حيث اوصلها اليونان، الى حيث تسير لهم ان اوصلوها. واشتغلوا بمواضيع

1 فيليب حتي وآخرون ، المرجع السابق ، ص: 192
2 احمد شلبي، المرجع السابق، ج3، ص: 231 - 232
3 نفسه
4 عباس محمود العقاد، اثر العرب في الحضارة الاوربية، الطبعة الثانية، منشورات دار الادب - بيروت ، 1965، ص: 28

جديدة، اختبروا حقائقها، ووضعوا اصولها، واستنبطوا لها القواعد، واستخرجوا منها النواميس، وهيأوا لها المصطلحات والتعابير. ثم اتاحوا هذا التراث الفكري، لشعب فتي كان يهم بالنهوض هو الشعب اللاتيني[1].

ان الجانب المهم من اثر هذه الموسوعات الثقافية في اوروبا لا يتوقف على تعديد المعلومات كم (معلومة) بلغت وكم معلومة اخذها العرب او اخذها الاوربيون، وانما المهم ان الاوربيين تناولوا مشعل العلم من ايدي العرب فاستضاؤا به بعد ظلمة وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضياء العميم الذي انكشف به احدث العلوم، ولو حمل العرب ذلك المشعل شرقا وغربا لكان من اعسر الامور ان يقدم الاوربيون ثورة من جديد. واذا افلحوا في قدحه فقصاراه في ثلاثة قرون الى ان يقف دون الشأو الذي انتهى اليه جهد الانسان في عشرات القرون[2].

فضل العرب في تكوين المعارف العلمية في اوربا كان يسير جنبا الى جنب مع تأثيرهم في تكوين العلوم النظرية، وفي اثر العرب في الصناعة ان العرب هم الذين صنعوا الصابون لاول مرة، وهم الذين اادخلوا السكر المصنوع من القصب الى اوربا، اما الورق فقد اكتشفه الصينيون، لكنه لم يدخل الغرب ولم تعرفه اوربا الا عن طريق العرب[3].

ان غرابة العلم العربي وخصبه معا يرجعان في الحقيقة الى ان ذلك العلم قد جمع العناصر اليونانية الى العناصر الشرقية وخلق منها مركبا جديدا او انه جعل خلق هذا المركب ممكنا في المستقبل. ولقد كان بالامكان ان ينتقل العلم

---

1 كمال اليازجي، المرجع السابق، ص: 357

2 عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص: 28

3 عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص: 37

اليوناني على ايد اوروبا اللاتينية لو لم تكن النصرانية الكاثوليكية مفصولة تماما عن النصرانية الارثوذكسية بجدار من التعصب وسوء الظن والبغض.

وبما ان هذا الجدار كان لسوء الحظ موجودا، فانه لم يكن من سبيل الى اتصال للعلم اليوناني السابق بالمستقبل اللاتيني التالي الا من طريق المنحنى العربي. والعلم العربي من وجهة نظر التطور الانساني عموما وجدنا ان الثقافة العربية الاسلامية كانت ذات اهمية بالغة، ذلك لانها تؤلف الصلة الاساسية بين الشرق الادنى وبين الغرب، ثم بين الشرق الاوسط وبين آسيا البوذية[1].

ان الاتصالات الثقافية بين اوروبا المسيحية والعالم العربي الاسلامي ظلت محدودة، ضعيفة الاثر حتى القرن الحادي عشر. ولكن هذه الاتصالات اخذت تظهر قوية واضحة منذ اواخر ذلك القرن عندما بدأت العلوم العربية تنتقل الى غرب اوروبا عن طريق معابر عدة، تردد عليها الاوروبيون طلبا لعلوم العرب وحضارتهم[2].

واذا كانت العلوم قد اضمحلت في غرب اوروبا في العصور الوسطى، فانها ازدهرت في الشرق الاسلامي. ونجد ان الظروف الجغرافية والتاريخية شاءت ان تجعل الدولة الاسلامية ملتقى التيارات الفكرية اليونانية والفارسية والهندية. ليس هذا هو موضع الغرابة وانما الملاحظ هو ان الرياضيات الهندية تقدمت وتطورت مستقلة بعيدة عن نفوذ الرياضيات اليونانية حتى التقى التياران معا في كنف المدارس الاسلامية وبين رحابها[3].

---

[1] جورج سارطون، نقله الى العربية عمر فروخ، الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط ، الطبعة الثانية، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، شعبان 1383هـ - كانون الاول 1963م ، ص: 82

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، اوربا في العصور الوسطى، ج1 ، الطبعة السادسة، مكتبة الانجلو المصرية،يناير 1975م، ص: 150 - 413

[3] نفسه

كان المواطن الاوروبي يرزح تحت وطأة ما يشبه العبودية والجهالة، هذا في الوقت الذي كان فيه المسلمون ايام الدولة العباسية يترجمون علوم الاقدمين من اغريق وفرس وهنود ويبتكرون نظريات وعلوما جديدة بينما العالم الاسلامي يموج بنهضته هذه التي شملت كل نواحي الحياة الاجتماعية من زراعة وصناعة وتجارة وعلم وفن وادب، بينما المسلمون كذلك كان غرب اوربا يغط في الجهل الذي اشتهر به عصره الوسيط حتى ظنت حاشية شارلمان الساعة المائية التي اهداها الرشيد ضربا من السحر والشعوذة ونوعا من اعمال الشياطين[1].

وبقيت اوروبا في هذا الجهل وهذه الفوضى الى ان سقطت شمس العلوم الاسلامية ووصل شعاعها الى اوروبا من مراكز اذاعة الثقافة العربية في الاندلس لا سيما طليطلة وجنوب ايطاليا منضمة اليها جزيرة صقلية ثم من المشرق حيث اختلط الغربيون بالشرقيين بسبب الحج الى بيت المقدس، وكذلك بسبب الحروب الصليبية[2].

كانت جزيرة صقلية جزءا من العالم الاسلامي منذ حوالي تسعة قرون. وكانت حياتها في نجاح وازدهار تقف جنبا الى جنب مع الحياة في الاندلس. وكانت اهم الطرق التي وصلت بها الحضارة الاسلامية الى اوربا وصقلية العربية ازدهرت الفنون والعلوم بلاد قسطنطين الافريقي الذي نقل الى صقلية كتب المسلمين في الحكمة والطب والعلوم واسس في جزيرة صقلية مدرسة (سالونة) التي كانت مركزا للطب الاسلامي في اوروبا، والامام محمد المازدي من بلدة

---

[1] عزام ابو بكر الطيب، تاريخ اوروبا القديم من سقوط الدولة الرومانية الى عصر الصناعات، الدار السودانية ، 1969م، ص: 17 - 19

[2] نفسه

(مازدة) بالجزيرة احد اعلام الحديث وكذلك العلامة الرحالة الادريسي مؤلف كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق)[1].

كان تأثير العرب في الغرب عظيما، حتى اصبحت اوروبا مدينة للعرب بحضارتها، ولا نستطيع ان ندرك تأثير العرب في اوربا الا ان نتصور حالها قبل ان تغزوها حضارة العرب[2].

في العصر العباسي بصفة خاصة نهضت الحركة العلمية وحركة الترجمة الى العربية نهضة عظيمة، في حين ادى انتشار اللغة شرقا وغربا الى سهولة الاتصال الفكري ونشر الحضارة الاسلامية. ونجد ان اعظم نشاط علمي وفلسفي شهده العالم اجمع في الشطر الاول من العصور الوسطى كان في البلاد العربية الاسلامية[3].

---

1 عز الدين فراج ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوربية، دار الفكر العربي، 1978 ، ص: 126 - 163

2 نفسه

3 سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق ،ج1 ، ص: 149

بيت الحكمة ونشأة المدارس في بغداد

في الوقت الذي كانت فيه رسالة محمد صلى ا عليه وسلم تنبعث من الحجاز، والعرب ينطلقون بها في اتجاه الامصار، كانت هذه الاقطار حافلة بانواع من الحضارات، وكان الجو الفكري فيها ناشطا باصناف من العلوم، والوان من العقائد الدينية، وضروب من النزعات الفلسفية[1].

واول مجمع علمي في الاسلام هو ذلك الذي انشأه المأمون في بغداد واسماه بيت الحكمة، واما المعهد الثاني فمجموعة من الكليات تسمى المدارس النظامية والمستنصرية، وهما في بغداد. اسس نظام الملك 1056م هذه المدرسة في بغداد. كما انشأ اول مدرسة اخرى تحمل نفس الاسم في مدينة نيسابور. وسرعان ما اصبحت اشهر المدارس في ذلك العصر والعصور التالية، وكان من بين اساتذتها عالم الدين (الغزالي)، والمؤرخ (بهاء الدين)[2].

وكانت المدرسة النظامية في حالة طيبة في عهد ياقوت فوصفها بانها تقع بين يارة الازاج على نهر دجلة، وباب الباسلية قرب سور بغداد. وادى الرحالة الاندلسي ابن جبير في المدرسة النظامية الصلاة في اول يوم وصوله الى بغداد. وذكر انها اعظم مدرسة بين ثلاثين مدرسة تقع في شرق بغداد[3]. وروى بن جبير انه في ذلك اليوم قدم اصحاب الاوقاف من بلادهم يحملون ايرادات الاوقاف الموقوفة على المدرسة ليدفعوا اجور المدرسين، وينفقوا على وسائل المحافظة

---

[1] كمال اليازجي، المرجع السابق، ص: 60
[2] علي حسني ، المرجع السابق، ص: 175
[3] نفسه

على المباني، الى جانب منح الاعانات الى الطلبة الفقراء وسماها المؤرخ الفارسي (ام مدارس بغداد)[1].

وعندما تم انشاء المدرسة النظامية حرصت على نصرة المذهب الشافعي في خضم الصراعات المذهبية التي كانت سائدة انذاك. وقيل انه انفق على المدرسة النظامية ببغداد الف دينار وبنى حولها اسواقا لتكون مصدر دخل ثابت لها، كما ابتاع ضياع وحمامات ومخازن ودكاكين وجعلها وقفا عليها. وقيل ان نظام الملك قد رتب لطلاب المدارس النظامية والعاملين بها مرتبات وارزاق شهرية، وامدها بالحبر والورق.[2]

كانت هناك مدارس تقدم للطلاب رواتب، او توفر لهم المأكل والمسكن المجاني، او كليهما، ومن المدارس التي عرفت بالجراية على طلابها مدرسة الامام ابي حنيفة حيث روى ابن مقدار اوقافهاالسنوي يبلغ ثمانين الف دينار[3].

لقد حفلت البلاد الاسلامية بعدد كبير من المدارس والجامعات لمختلف العلوم والاداب والفنون وكان في جميع هذه المدارس دور للكتب ولم تخل مدرسة من مكتبة قط. اما خزائن الكتب في الجامعات فقد زخرت بالمؤلفات المصنفة او المنقولة باعتبارها من اهم مستلزمات الدراسة العالية[4].

وقد ساعدت هذه المدارس على نشر الثقافة والعلم، وامدت اجهزت الدولة بالعناصر المتعلمة المثقفة والتي كان لانضمامها الى جهاز الدولة آثاره البعيدة على دقة التنظيم، كما ان هذه المدارس قد امدت المدارس التي انشئت فيما بعد

---

[1] علي حسني المرجع السابق، ص: 174

[2] هاشم عبد الراضي ، المرجع السابق، ص: 299

[3] نفسه

[4] ناجي معروف، المرجع السابق ، ص: 456.

بعناصر مؤهلة من العلماء والاساتذة الكبار، قدم بعضهم من بلاد الاندلس والمغرب حيث تلقوا علومهم في المدارس النظامية، ثم رجعوا الى بلادهم للتدريس في المساجد والمدارس التي ظهرت هناك.

اضف الى ذلك انه قد ظهر بين اساتذة النظاميات رجال فكر عظماء، اثروا المكتبة الاسلامية بعدد كبير من المؤلفات في علوم الشريعة واللغة والادب والتاريخ والمنطق والجدل[1].

انشاء المدرسة النظامية ببغداد شرطها وموقعها:

ان اول مؤسسة علمية متخصصة في ديار الاسلام استهدف غاية محدودة، وافردت لتدريس العلوم والشريعة والادب، وهيأت للطلاب اسباب العلم والميسرة ورفاهية العيش، واصبحت مثالا لما قام بعدها من دور العلم، هي المدرسة النظامية التي بناها[2] نظام الملك وزير الب ارسلان السلجوقي في بغداد في اواسط القرن الحادي عشر، وجعل لها فروعا في نيسابور وبلخ وهراة واصفهان والبصرة والموصل، عرفت جميعها بهذا الاسم.

وقد وضع لها نظاما جامعيا محكما غدا من بعد نظاما قياسيا لمؤسسات العلم الكبرى، ووجه برامجها لمقاومة التعليم الشيعي، ونشر مذهب اهل السنة ومناصرة المنهج الاشعري[3].

وقد ذهب احد الباحثين المعاصرين الى ان المدرسة النظامية كانت تقع على شاطئ نهر دجلة فوق دار الخلافة العباسية، بينها وبين المستنصرية، وقد عمدت

---

[1] مريزن سعيد ميرزن عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، 1407 هـ - 1987م ، ص: 262 - 263

[2] نفسه

[3] كمال اليازجي، المرجع السابق، ص: 60

على جزء من دار مؤنس المقتدري التي كانت على دجلة في الجانب الشرقي من بغداد. ولقد اشرف على بناء هذه المدرسة العميد ابو سعيد احمد بن محمد النيسابوري الصوفي، ويبدو ان بناء هذه المدرسة كان بناءا محكما[1].

اما هيكل البناء كانت مستطيلة البناء متناسبة الزوايا والارجاء، فيها محل واسع للدروس، وآخر مثله معد للمذاكرة ولترويح النفوس، ومصلاها يسع من المصلين الالوف، وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وافنية للذخائر وادوات الطباخين، وكانت تشتمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير، عدد غرفها التي كانت معدة للطلاب والمعلمين لكل قسم من اقسام العلوم ثلاثمائة وخمس وستون غرفة هذا عدا قاعات التدريس ومحافل المطارحات العلمية واماكن الراحة.

وكانت المدرسة مرفوعة الجدران مشيدة الاركان، قد عقد في جوانبها قاعات مستديرة الشكل وقد فرشت ساحتها بالمرمر وسورها مؤزر بمثله[2].

اوقاف المدرسة ونفقاتها:

ولقد انفق نظام الملك على انشاء المدرسة النظامية ببغداد الكثير من الاموال، ويمكن تصور تلك المبالغ من خلال وشاية اعدائه لدى السلطان ملك شاه حيث قالوا: ان الاموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية، وذكر ان ما انفق على انشاء المدرسة النظامية ببغداد يقدر بمبلغ مائتي الف دينار.

1 مريزن سعيد ، المرجع السابق، ص: 264 - 265
2 نفسه

اوقف نظام الملك وقوفا عظيما لغرض الانفاق منها على عمارتها ودور كتبها، ومن اجل صرف الجرايات على اربابها من المدرسين والعلماء والطلبة[1].

وقد اشتهرت المدرسة النظامية بمكانتها العلمية، وبما تقدمه لمنسوبيها من اساتذة وتلامذة واداريين من خدمات جليلة (فقد خصص منشئوها وظائف وجرايات لكل من اقام فيها من طلبة العلم، وقام بمؤونة اطعمتهم وملابسهم وفرشهم وغير ذلك من ضروريات معاشهم).

وكان نظام الملك ينفق على ذلك الكثير من الاموال، فقد بلغت نفقاته على النظاميات والربط والتكايا من ماله الخاص مبلغ ستمائة الف دينار. وهكذا كانت المدرسة النظامية اول المدارس في ديار الاسلام اهتماما بمنسوبيها في دراستهم وفي معاشهم وسكنهم ومتطالباتهم، ومنذ عهده اصبحت عادة جارية، في اغلب المدارس، فكان الطلبة يتسابقون الى الاقامة في المدرسة النظامية في بغداد لما توفره من علم ميسر وانقطاع الى الدروس وجرايات دائمة (فقد خصص لطلاب العلم وظائف مرتبة)[2].

ادارة المدرسة وسير العمل:

وكان يتولى مصالح المدرسة النظامية ببغداد ادارة خصصت لها، وقد حدد لكل فرد من رجال ادارتها مهام عمله كما كان هنالك من يتولى النظر في النظامية والاشراف على مصالحها وسير العمل فيها، وكانت ادارة المدرسة تشرف ايضا على خزانة دار كتب التي حوت نفائس الكتب وكانت مزودة بالحبر والورق في قاعات رتبت بحيث تكون افضل مكان للقراء والاطلاع والنسخ. وقد تولى

[1] مريزن سعيد ، المرجع السابق ، ص : 266 - 269
[2] نفسه

الاشراف على خزانة هذه المدرسة خلال عصورها المتتابعة عدد كبير من الخزنة كان الكثير منهم من العلماء المشهورين.

التعليم في المدرسة النظامية:

من المتخصصات التي كانت تدرس في المدرسة النظامية يتبين ان التعليم فيها كان عدة اقسام، فكان هناك قسم للاقراء ودراسة القرآن، وقسم لتعليم الفقه والاصول، وآخر لتدريس الحديث والوعظ، وفرع لتدريس اللغة العربية وآدابها[1].

المدرسون:

كان المدرسون في المدرسة النظامية يعينون بمرسوم خاص، والظاهر ان هذا النوع من المراسيم او التوقيعات التدريسية لم تظهر الا بعد انشاء المدارس في هذا العصر، وبعد ان خصصت المعاليم للمدرسين، وكانت هذه المناشير تصدر من الخلفاء او السلاطين السلاجقة او الوزراء بتعيين الاساتذة في المدرسة النظامية، وكان لتولية احد العلماء التدريس بالنظامية مراسيم معينة[2].

المعيدون بالمدرسة النظامية:

المعيد هو الذي يعيد المحاضرة بعد القاء المدرس لها على الطلبة، ووظيفة المعيد لم تظهر في تاريخ التعليم عند المسلمين الا مع ظهور المدارس فالمصادر التاريخية لم ترد ذكرا لهذه الوظيفة قبل منتصف القرن الخامس الهجري[3].

وكان المعيدون في المدرسة النظامية يعينون من قبل ناظر المدرسة وادارتها، وكان يشترط في المعيد بالمدرسة النظامية كما هو الحال مع المدرسين

---

[1] مريزن سعيد ، المرجع السابق، ص:269 - 272

[2] نفسه

[3] نفسه

ان يكون شافعي المذهب. والراجح ان اغلب المعيدين كانوا يعملون مع علماء الفقه والاصول والعلوم الشرعية.

الوعاظ بالمدرسة النظامية:

والطبقة الثالثة من المكلفين بالتدريس بالمدرسة النظامية هي وظيفة الواعظ، والذي اشترط فيه نظام الملك ان يكون شافعيا. ولقد تناثرت اخبار الوعاظ بالمدرسة النظامية في تضاعيف الكتب والمصادر المختلفة.

ويبدو ان الواعظ بالمدرسة النظامية كان يعقد مجلس وعظه بعد اوقات الصلاة ولقد تولى الوعظ بالمدرسة النظامية عدد كبير من الوعاظ خلال فتراتها المتتابعة.

طلاب المدرسة النظامية:

لقد درس بالمدرسة النظامية خلال فترة العصر السلجوقي الالاف من التلاميذ والمتفقهة الذين كانوا يفدون اليها من سائر انحاء العالم الاسلامي لما حصلت عليه المدرسة من شهرة علمية[1].

الدراسة في المدرسة النظامية:

انشأ نظام الملك المدرسة من اجل تحقيق حالة الانسجام في المجتمع الاسلامي، والغاء الفرقة والدفاع عن الامة وعقيدتها ازاء ما يتهددها من اخطار، وذلك عن طريق تعليمهم اصول الدين الصحيحة.

---

[1] مريزن سعيد ، المرجع السابق، ، ص: 272 - ص: 274

ان التعليم في المدارس النظامية او غيرها من مدارس العصر لم تكن الا امتداد لحركة التعليم الاسلامي في المساجد،وهكذا فإن التعليم في المدرسة النظامية في مبدأ افتتاحها كان يركز على تدريس الفقه الاسلامي واصول الدين والعقيدة.

وقد كانت بالمدرسة النظامية اقسام بتخصصات متنوعة وهي كما يلي:

فرع الفقه واصوله – فرع القرآن والحديث والتفسير والوعظ – فرع النحو واللغة والادب[1].

اما خزانة المدرسة النظامية فقد افتتحت عام 459هـ وكان لها خُزان ومشرفون حفلت بأخبارهم كتب التراجم وقد جمع فيها نظام الملك مختلف الكتب غير ما نقل اليها الناصر لدين ا بعد ذلك من الوف الكتب النفيسة التي لا يوجد مثلها[2].

مدرسة مشهد ابي حنيفة:

وقد اسسها العميد السلجوقي ابو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك، وقد شيدها 459 هـ 1066م. وقد اقامها على مشهد الامام ابي حنيفة في شمال بغداد الشرقية في محلة باب الطائف وكانت تدرس الفقه الحنفي[3].

وقد سارع مستوفي المملكة شرف الملك ابوسعد محمد بن منصور الخوارزمي بالحضور الى بغداد عازما على انشاء مدرسة مماثلة فيها لاتباع المذهب الحنفي، فاختار ان يكون موقعها بجوار تربة مشهد الامام ابي حنيفة النعمان امام المذهب، فاشترى ما يحيط بالقبر من ابنية وارض[4]، وامر بهدم مسجد

1 مريزن سعيد ، المرجع السابق، ص: 279
2 ناجي معروف، المرجع السابق ، ص: 456
3 هاشم عبد الراضي ، المرجع السابق ، ص: 299
4 ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص: 100

كان بجوار المقبرة فسوي ارضا فسيحة، وجاء بالمهندسين والقطاعين، وحفر اساسا لقبة كبيرة تقام فوق القبر، وبعد ان تم بناء ذلك عمل بازائها مسجدا جامعا واسعا ومدرسة عظمى لتدريس الفقه الحنفي، وانزل الفقهاء ورتب لهم مدرسين[1].

وقد استعجل مستوفي المملكة اتمام بنائها وافتتاحها، فلقد كان حريصا على ان يتم ذلك قبل افتتاح المدرسة النظامية. وتم ذلك فقد افتتحت قبل افتتاح المدرسة النظامية باربعة اشهر وثلاثة عشر يوما وذلك سنة 459هـ - 1066م[2].

ولقد اوقف مستوفي المملكة الوقوف على المسجد والمدرسة لاستاذها وتلاميذها وخزانة كتبها التي انشئت عام 459هـ ووقفت لها كتب كثير، وكان فيها اكثر مؤلفات الجاحظ كما جزلة الطيب اوقف فيها مكتبة[3].

منحاه في الاجتهاد:

مسلك ابي حنيفة في القرآن الكريم مسلك كل الائمة، اما في الحديث فكان له مسلك خاص، وهو التشدد في قبول الحديث، والتحري عنه وعن رجاله حتى يصح[4].

في الواقع كان ابو حنيفة قياسيا، يملك في القياس مسلكا فاق فيه كل من سبقه، واعانة على ذلك ملكاته الخلقية، فكان دقيق النظر سريع الخاطر في ادراك ما بين الاشياء من فروق وموافقات، قوي الحجة حتى كان كما قالوا لو اراد ان يقيم الحجة على ان هذه السارية ذهب لفعل[5].

---

[1] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16 ، ص: 101
[2] مريزن سعيد ، المرجع السابق، ص: 283
[3] ناجي معروف ، المرجع السابق، ص: 456
[4] احمد امين، المرجع السابق، ج2، ص: 185 - 187
[5] نفسه

المدرسة المستنصرية:

فقد انشأها المستنصر، ويروى ان هندسة المدرسة المستنصرية واثاثها كان من الفخامة والعظمة مما جعل لا نظير لها. كانت المدرسة تحتوي على اربعة اقسام مستقلة، قسم لكل مذهب من المذاهب السنية الاربعة يرأس كل منها عالم يتولى امر تعليم خمسة وسبعين طالبا.ويتلقى العلماء الاربعة راتبا شهريا، كما يمنح كل طالب الثلثمائة دينار ذهبيا. ويقدم المطبخ الكبير الملحق المدرسة الى اسرة المدرسة ما يلزمهم من خبز ولحم، وبها مكتبة تحوي كتبا نادرة في مختلف العلوم[1].

وقد وضعت نظام تمكن جميع الطلبة من الاطلاع عليها بسهولة، ونسخ ما يريدون من المخطوطات ومن حسن الحظ ان المدرسة المستنصرية مثلها مثل المدرسة النظامية نجت من تخريب المغول وتم بناء المدرسة عام 630هـ[2].

اما خزانة المدرسة المستنصرية فقد افتتحت سنة 631 هـ - 1233م. وكانت مرجعا لطلاب المستنصرية ومدرسيها وشيوخها كما كانت مرجعا عاما لطلاب العلم والعلماء خارج المستنصرية ولطالما قصدها الكثير منهم وترددوا عليها وافادوا من كنوزها العلمية والادبية نحو قرنين من الزمان[3].

المدارس الاخرى في بغداد ومدن العراق:

أ/ المدارس الحنيفية ببغداد:

1. مدرسة تركان خاتون:

[1] علي حسني ، المرجع السابق، ص: 175
[2] نفسه
[3] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 456

وقد امرت بإنشائها تركان خاتون الجلالية زوجة ملكشاه السلجوقي، وقد شيده في الجانب الشرقي من بغداد. ثم ظلت المدارس صاحبة الدور الرئيسي في نشر الثقافة حتى وقتنا هذا.

2. المدرسة التتشية:

انشأها الامين خمارتكين بن عبد ا التتشي 500هـ - 1106م.

3. المدرسة المغيثية:

سميت نسبة الى السلطان مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاة السلجوقي[1].

4. مدرسة جامع السلطان:

بنى هذا الجامع والمدرسة الملحقة به السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي سنة 485هـ - 1092م[2].

5. المدرسة الموفقية:

بنى هذه المدرسة الخادم موفق بن عبد ا الخاتوني خادم السيدة خاتون زوجة المستظهر با ودرس في المدرسة عدد من العلماء.

6. المدرسة الزيركية:

من مدارس بغداد الحنيفية، وتقع هذه المدرسة في سوق العميد بمنطقة سوق السلطان، ولا يعرف الى من تنسب هذه المدرسة. وان كان ظاهر من الاسم نسبة الى زيرك وهو اسم شائع عند الاتراك[3].

---

[1] هاشم عبد الراضي ، المرجع السابق ، ص: 291 - 300

[2] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج16، ص: 298

[3] مريزن سعيد، المرجع السابق، ص: 291

ب/ المدارس الشافعية ببغداد:

1. المدرسة التاجية:

وهي التي انشأها تاج الملك ابو الغنائم المرزيان بن خسرو صاحب خزانة السلطان السلجوقي ملكشاة وهي ثاني مدرسة شافعية، عرفت بعد المدرسة النظامية، ودامت حتى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة 656هـ 1358م[1].

2. مدرسة قراح ظفر:

من مدارس الشافعية ببغداد، وقد بنى هذه المدرسة الفقيه ابوبكر محمد بن احمد بن الحسين الشاشي فخر الاسلام.

3. المدرسة الثقتية:

اسس هذه المدرسة ثقة الدولة علي بن محمد يحيى بن الحسين الدريني وافتتحها سنة 540هـ - 1154م[2].

4. المدرسة الكمالية:

اسس هذه المدرسة كمال الدين ابو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي. وافتتحت سنة 535هـ - 1140م[3].

5. المدرسة البهائية:

من مدارس بغداد الشافعية، وكانت تقع بالقرب المدرسة النظامية، ولا يعلم منشئها، على ان ظاهر اسمها يدل على انها منسوبة الى من اسمه بهاء الملك[4].

---

[1] هاشم عبد الراضي ، المرجع السابق ، ص: 300
[2] مريزن سعيد، المرجع السابق، ص: 292
[3] ابن الجوزي، المنتظم، المصدر الساتبق ، ج18 ، ص:10
[4] مريزن سعيد ، المرجع السابق، ص: 293

6. المدرسة الفخرية (او مدرسة دار الذهب):

وهي المدرسة التي انشأها فخر الدولة ابو المظفر الحسن بن هبة ا البغدادي، وافتتحها سنة 568هـ - 1172م[1].

المدرسة العصمتية ببغداد:

تم بناؤها في سنة 671 هـ - 1272م بجوار مشهد عبيد ا بن عمر العلوي (بالاعظمية) انشأتها السيدة شمس الضحى حفيدة السلطان صلاح الدين الايوبي، وهي ام رابعة حفيدة الخليفة المستعصم ووقفتها على المذاهب الاربعة وكانت فيها دار كتب[2].

كانت المدارس النظامية معاهد عالية لنشر الثقافة الرفيعة، ولهذا كان مدرسوها دائما أئمة خيرة علماء العصر واساتذة الجيل[3].

منذ اواخر القرن الخامس الهجري وطوال القرن السادس تزايد الاهتمام بانشاء المدارس، بحيث يمكن ان يقال ان هذه الفترة كانت من اهم عصور التمدن الاسلامي من حيث كثرة المدارس.

وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تختص بفرقه من الفرق المذهبية دون سائر الفرق، كما كان الغني الذي يوقف ماله على مدرسة كهذه بشرط الا يدرس فيها سوى اهل مذهبه.

ان تأسيس المدارس النظامية كان دافعا لايجاد غيرها من المدارس في البلاد الاسلامية. وكان المؤسسون يبغون الثواب او خدمة مذهبهم او منافسة معارضهم.

---

[1] ابن الجوزي ، المصدر السابق، ج18 ، ص:200

[2] ناجي معروف، المرجع السابق، ص: 458

[3] احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق، ص: 249

وكان التعليم في المدارس امتداد لحركة التعليم في المساجد، فقد استمرت المساجد في اداء وظيفتها التعليمية في العصر السلجوقي، والحقت بمعظمها خزائن الكتب التي اوقفها محبو العلم لتحقيق المنفعة للناس. وفي بغداد والري وساوه ومرو شاهجان كثرت المكتبات الخاص. والموقوفة على المدارس والمساجد[1].

وقد كان لإنشاء المدارس نتائجه البعيدة فقد حققت اغراض كثيرة فانها ساعدت على نشر الثقافة والعلم بشكل عام وعملت على تلقين مفاهيم المذهب الشافعي بشكل خاص كما امدت اجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة منظما وفق مناهج مرتبة ونظم معينة، فكانت تلك العناصر قد اعدت اعدادا موجها لخدمة الدولة وتحمل المسئوليات الرسمية.

وكانت لحركة انشاء المدارس النظامية اثر كبير في بغداد والعراق فقد انشئت مدارس عديدة في بغداد والعراق[2].

والخلاصة ان حركة التعليم كانت حركة طيبة وقد بذل السلاجقة والعباسيون جهودا كبيرة في انشاء امكنة التعليم الى جانب المساجد، وقد عملت كل من المساجد والمدارس والربط ودور العلم (المكتبات) على نشر الثقافة العربية الاسلامية، فكانت نتائجها كبيرة، فارتفاع المستوى الثقافي وانتشار العلماء في الافاق وازدياد حركة التأليف والتصنيف لم يكن ذلك الا بالجهود الطيبة المخلصة التي عملت على انشاء تلك الامكنة والتي تضافرت على خدمة الدين وعلومه ونشر الثقافة بين الناس.

---

[1] احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية – الكويت، 1395هـ - 1975م، ، ص: 373 - 376

[2] حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد ، 1385 هـ - 1965 ، ص: 234

الفصـــل الرابـــع
انـهيار بيت الحكمة

- الخلفاء العباسيون
- اسباب انـهيار الخلافة العباسية
- انـهيار بيت الحكمة

الخلفاء العباسيون

كان عهد المأمون ازهى عصور بيت الحكمة، ولم يجد هذا المعهد بعد المأمون من يمنحه عناية المأمون، وكان اول ما قال من شأنه ان يتولى المعتصم الخلافة بعد المأمون، والمعتصم قليل المعرفة بالثقافة، لا يجد فيها لذة ولا يتذوق فيها حلاوة، فلم يرع بيت الحكمة كما كان يجب، وانما اتجه الى جلب المماليك وتدريبهم، ثم هجر بسببهم بغداد الى سامراء فاصيب بيت الحكمة بصدمة اخرى نتيجة انتقال الخلفاء من بغداد وعدم رعايتهم لما في العاصمة الاولى من منشآت، ثم تزاحمت الاحداث على بغداد وماضيها من مؤسسات وكثرت الحروب والفتن وكلها تنتقص من هذا المعهد وتقلل من شأنه وتخفت من صورته.

وليس معنى هذا ان بيت الحكمة قد اختفى او اندثر فلقد ظل يغالب الاحداث، ويجاهد في سبيل البقاء، ولكنه بقاء المكلوم الهزيل[1].

وقد اعتمد المعتصم العباسي في حكمه على عنصر غريب، وهو العنصر التركي الذي اخذ بمرور الزمن يترقى في المناصب ويتولى المراكز الحساسة في الدولة، صار هذا العنصر يتدخل في شئون الخلافة مستغلا ضعف الخلفاء في العنصر العباسي الثاني، وفقدت الخلافة في هذا العصر هيبتها وعناصر قوتها كما فقدت الدولة العباسية الكثير من ممتلكاتها من الناحية الفعلية[2].

وكان سبب بناء المعتصم مدينة سامراء ان عسكره المقيمون بالحضرة لا يفارقونه وعددهم سبع مائة الف فارس وضاقت بهم بغداد ونزلوا مع الناس في ديارهم حتى هلك عدة اطفال تحت ارجل الخيل من شدة الزحمة في الاسواق،

---

1 احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، المرجع السابق ، ص: 184

2 حسين امين ،المرجع السابق ، ص: 18

فخطب المعتصم يوماً على منبر الرصافة فقام اليه شيخ وقال: ما لك يا ابا اسحق لا جزاك ا عن الجوار خيراً ايتمت اولادنا ورملت نساءنا باسكانك هؤلاء العلوج بين اظهرنا، وا لنقاتلنك بما لا قبل لك به ، فلم يتغير ومضى في خطبته. ولما نزل وصلى طلب الرجل وظن انه هرب واذا به واقف بازائه فالتفت اليه غير مغضب وقال له : يا شيخ صدقت فيما قلت وانا اريحكم من هؤلاء العلوج ومن نفسي ايضا ولكن بماذا كنت تقاتلني بما لا قبل لي به ؟فقال له الشيخ : بسهام الليل يا ابا اسحق ، قال: صدقت ومن ساعته رحل من بغداد الى الموضع الذي بني فيه سامراء، وامر ببناء المدينة واسكن العسكر بها[1].

وقد بنى المعتصم مدينة سامراء وهي تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة على مسافة مائة كيلو متر الى شمال بغداد، وعهد المعتصم في بنائها الى اشناس احد قواد الاتراك فأنشأ فيها قناتين متفرعتين من دجلة نحو الشرق[2].

وفي عصر المعتصم كان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات يهتم بـأمور دار الحكمة ويشرف عليها في بغداد مع العلم بأن دار الخلافة انتقلت الى سر مـن رأى، فقد خصص الزيات خلال وزارته للمعتصم وللواثق مبلغاً شهرياً قدر بألفي دينار غير انه بمجرد انتقال دار الخلافة الى سر من رأى حصل فتور في حركـة الترجمة بسبب عدم اهتمام الخليفة المعتصم با بذلك، مع ان الدراسة والترجمـة مستمرة والارزاق تصرف بانتظام.

---

[1] محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم ودراسة قاسم السامرائي ، لايدن ، 1973 ، ص: 109

[2] كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب العربية ،نقله الى العربية نبيه امين فارس ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، مارس 1993م ، ص: 210

ولكن سرعان ما عاد النشاط من جديد الى بيت الحكمة، اذ عمـل الواثـق على رعاية العلم واحتضان العلماء، فحضر مجـالس المنـاظرة بـين الفلاسـفة والمتطببين[1].

ويظهر ان بيت الحكمة قد اهمل بعد المتوكل على ا ، ويبـدو ان للفـتن والحروب بين المعتز والمستعين اثراً بعيداً في اهمال بيت الحكمة، ومع ذلك فلـم يتخلى الخلفاء العباسيون بسامراء ولا وزرائهم امثال محمد بن عبد الملك الزيـات عن مؤازرة الترجمة الى العربية فقد اختص كل خليفـة بطبيـب مـن الاطبـاء المشهورين الذين عرفوا بالترجمة والتأليف ايضاً. وعندما رجـع الخلفـاء مـن سامراء الى بغداد صاروا يشجعون الترجمة فكان الطبيب يوحنا بن بختيوشع ينقل من اليوناني الى السرياني في زمن الموفق با طلحة بن جعفر المتوكل[2].

وقد امر المعتصم بهدم ما كان المأمون امر ببنائه بطوانة وحمل ما كان بها من السلاح والالة وغير ذلك مما قدر على حمله واحرق ما لم يقدر علـى حملـه وامر بصرف من كان المأمون اسكن ذلك من الناس الى بلادهم، وبويع في يـوم توفى المعتصم ابنه الواثق[3].

ان بوادر ضعف سلطة الخلفاء العباسيين بدأت تظهر بوضوح طوال مـدة الواثق با الى وقت وفاته، وان كان ضعف سلطة الخلفاء سيزداد فـي العـصر العباسي التالي، بحيث يعتبر الواثق في نظرنا آخر الخلفـاء العباسـيين العظـام وخصوصاً انه لم يعين له ولي عهد بعده، مما فتح المجال لزمـردة التـرك فـي

---

1 ضيف الله يحيى الزهراني ، النفقات وادارتها في الدولة العباسية (132 – 334هـ) (749 – 945م) ، مكتبة المنار الزرقاء، (1406 هـ - 1986م) – ص: 359.

2 ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص: 441

3 الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الامم والملوك، ج7 ، مطبعة الاستقامة القاهرة ، (1358هـ-1939م) ، ص: 318

السيطرة التامة على الخلافة العباسية[1]. وكان الواثق شاعراً اديباً كريمـاً حليمـاً حافظاً لاشعار العرب، عارفاً بالغناء يدعى المأمون الصغير وكان اكرم الناس[2].

كان الخليفة المتوكل اول خلفاء العصر العباسي الثاني، وقـد دبـر ابنـه المنتصر مؤامرة لقتله وان الاتراك بايعوه بالخلافة من بعده، ولكنـه لـم يتمتـع بالخلافة غير ستة اشهر وقتل على ايدي الاتراك الذين استولوا منذ قتل المتوكـل على الدولة العباسية واستضعفوا الخلفاء حتى كان الخليفة لعبة في يدهم ان شاءوا ابقوه وان شاءوا خلعوه او قتلوه[3].

كانت الخلافة العباسية عند ظهور السلاجقة قد بلغت درجـة كبيـرة مـن الضعف، والواقع ان الدولة العباسية اخذت في الانحـلال والتخـاذل منـذ عهـد المتوكل العباسي (232 – 247هـ) (847 – 861م) فأخذ نفوذ الاتـراك فـي الازدياد حتى سيطروا على المناصب المدنية والعسكرية وامسكوا بزمام الامـور في الدولة.

وكثرت البدع في عصر العباسيين، فظهرت فـرق كثيـرة كالاسـماعلية والزنادقة والمعتزلة فانقسم المسلمون شيعاً وطوائف كانت تناهض بعضها بعضاً، ويحاول بعضها القضاء على الدولة العباسية نفسها[4].

وكان المتوكل يرجو ان يتخذ من الشافعية وهم من اهل الـسنة ، عـضداً يجابه به العلويين الذين ما انفكوا يناضلون دون غاياتهم وامانيهم وكان مستـشار

---

1 عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق،ج1 ، ص: 437.
2 ابن العمراني ، المصدر السابق ، ص: 111
3 بدر عبد الرحمن محمد، الدولة العباسية في سياستها الداخلية في القرنين الثاني والثالث الهجري ، مكتبة الانجلو المصرية ،ص: 101
4 عبد المنعم محمد حسنين، سلاجقة ايران والعراق،الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، (1380هـ - 1970م) ،ص: 113

المأمون، قاضي القضاة احمد بن ابي داؤود الذي فلح بعيد تولي المتوكـل امـر المسلمين مباشرة قد تخلى عن منصبه لابنه محمد. ولكن المتوكـل لـم يلبـث ان اعتقله اخوته في السنة الثانية من خلافته، وصادر ممتلكاتهم جميعاً، ثم انه عهـد بقضاء القضاة الى يحيى بن اكثم الشافعي المذهب. وفي سنوات ولايتـه الـثلاث وكان هذا اقصى ما سمح به جشع المتوكل ومكره احدث يحيى انقلاباً كاملاً.

ونجده هدم قبر الحسين في كربلاء، ومنع الناس من زيارته، وطلق سراح جميع الفقهاء الذين كانوا قد زج بهم في السجون لعدم تبنيهم عقيدة خلق القـرآن، وفي جملتهم احمد بن حنبل، وحرم البحث في هذه المسألة الجدال حولها[1].

وكان المتوكل قد عقد ولاية العهد في مـستهل خلافتـه لابنـه الاكبـر (المنتصر) ثم لابنيه الاصغرين (محمد المعتز وابراهيم المؤيد) من بعـده. ولكـن الفتح بن خاقان الاثير عند المتوكل اوغر صدره على المنتصر فقدم عليـه اخـاه المعتز في ولاية العهد، والواقع ان شوكة القواد الاتراك استعصت حتى على محمد بن عبد ا بن طاهر الذي اسندت اليه ولاية الشرطة في بغداد. وقد تآمر القائد مع (محمد بن عبد ا) مع ولي العهد المنتصر على قتل المتوكل، ونفذت المـؤامرة سنة 861م في (الجعفري) وهو القصر الذي كان المتوكل قد اقامه على ابـواب سامراء قبل ذلك بفترة طويلة[2].

ولم يستطع المنتصر قاتل ابيه ان يحافظ على العرش اكثر من ستة اشهر، بذل خلالها جهوداً عقيمة لاستخلاصه لنفسه من طريقـة اكـراه اخويـه المعتـز والمؤيد على التنازل عن ولاية العهد، وبعد ان قتله الاتراك بالـسم رفعـوا الـى

---

1 بروكلمان – المرجع السابق ، ص: 213
2 نفسه

العرش ابن اخ المتوكل (احمد المستعين با) حتى انه حكم اربع سـنوات لـيس غير، فقد سلطته التي كانت تقلصت فعلاً الى طيف من الخيـال بـسبب النـزاع المستمر بين امراء الجيش الاتراك[1].

الخليفة المستعين هو احمد بن محمد بن المعتصم بن الرشيد، بويع بالخلافة في اليوم الذي توفى فيه المنتصر (862 – 866م) فكانت خلافته ثـلاث سـنوات وثمانية اشهر وثمانية وعشرون يوماً. لم يكن للخليفة شئ من النفوذ فإن المـوالي هم الذين حولوا الخلافة عن المعتز بخلعهم اياه من ولاية العهد وهم الذين اخذوها الى المستعين بلا عهد ولا سابقة فكان من المعقول ان يكون بين ايديهم يفعلون به ما شاءوا.

اما الاحوال الخارجية في عهده كان الحال في الخارج اشد من ذلـك فـان الاضطراب الحادث في داخل الدولة كان سبباً في تقاعد اولي الامر عـن حمايـة الثغور والوقوف في وجه الروم[2]. وقد اضطر بغا الذي كان له الفضل في تنصيبه خليفة، الى ان يفر معه من وجه الخصوم الى بغداد ولكنه لم يلبث بعد خلاف نشب بينه وبين بغا ان انقلب عليه، فاضطر الى خلعه نفسه في 866م ليقتل في الـسنة نفسها.

وحاول المعتز ان يتخذ من حرسه المغاربة اداة لمقاومة الاتراك الذين كان لهم الفضل في ارتقائه كرسي الخلافة. ولكن الاتراك لم يلبثوا بعد ثلاث سـنوات ونصف ان خلعوه عن العرش لعجزه عن سد حاجتهم الملحة الى المال، والحق ان خلفه محمد المهتدي با بن الواثق سعى عبثاً الى اجتناب مصير اسلافه فاختصر

[1] بروكلمان ،المرجع السابق ، ص: 213
[2] محمد الخضري، المرجع السابق، ص: 231

نفقات القصر الملكي لكي يعيد الى الجهاز المالي المضطرب شئيا من النظام الذي فقده، ولكنه قتل في معركة ضد موسى بن بغا وهو لم يتم الـسنة الاولـى مـن ولايته[1].

ونجد ان ما انتهت اليه الحكومة المركزية في ذلك العـصر مـن ضـعف بسبب من استبداد امراء الجيش وتبدل الحكام المتواصل[2]. وقـد اسـتغرق هـذا النضال ضد الغرامطة عهد الخليفة المكتفي بن المعتضد حتى اذا تـوفى حـاول وزيره العباس بن الحسن ان يمد في عمر وزارته عن طريق اختيـار جعفـر اخ المكتفي لخلافة المسلمين وولاية امرهم متخذاً لقب المقتدر با وهو بعد صبي في الثالثة عشرة.

وكان خصوم الوزير ما لبثوا ان ائتمروا به وقتلوه، ثـم خلعـوا المقتـدر وبايعوا عبد ا بن المعتز، وكان مصير عبد ا كمصير ابراهيم بن المهدي قبـل تسعين عاماً. وذلك بانه افرغ همته وهو في معية الصبا للعلم والشعر، ومهما يكن من امر فلم يكد هذا الامير القليل الحظ يرتقي عرش الخلافة حتى خلعه انـصار المقتدر في اليوم نفسه. وهكذا اضطر عبد ا ان يتلمس النجاة في بيت صديق له جوهري حيث قتل سنة 918م بعد اثني عشر يوماً من استخلافه وجاء بعده الخليفة المقتدر[3].

وقد اخذت الدولة في النزول شيئاً فشيئاً وضعفت تلك المكانة التي كانت لهم في نفوس الامم الاسلامية واجترأ الامراء بالاطراف على الاستقلال وصار امـر العباسيين يضمحل حتى لم يبق بيدهم الا العراق وفارس والاهواز وهذه مملـوءة

---

[1] بروكلمان ، المرجع السابق، ص: 214 - 215

[2] نفسه

[3] نفسه

بالاضطراب والفتن وآل الامر الى ان يتولى بغداد مملوك تركي او ديلمي يطلـق عليه امير الامراء له النفوذ التام والسلطان المطلق والولاية العامة وليس للخلافـة من الامر شئ.

وقام في هذا العصر اثنا عشر خليفة وهم المتوكل ، المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهتدي ، المعتمد ، المعتضد ، المكتفي ، المقتدر ، القاهر ، المتقـي و المستكفي الذي ملك بنوبويه في آخر عهده. ومتوسط خلافة الواحد مـنهم ثمـاني سنوات ونصف ولم يمت منهم موتاً هادئاً الا اربعة والباقون خرجوا من الخلافـة بين قتيل ومخلوع وكان استيلاء بني بويه على بغداد سنة 334م[1].

ونجد في العصر العباسي الثاني ان الخلافة العباسية منحلة واصبح الخلفاء مسلوبي السلطة لازدياد نفوذ الاتراك في الدولة واستحواذ سلاطين بني بويه اولاً وسلاطين السلاجقة من بعدهم على بغداد. اما بنو بويه فلم يقنعوا بأخذ السلطة من الخلفاء العباسيين فحسب، بل شاركوهم الخلافة في امتيازاتهم الاخيرة.

على ان ضعف الخلافة العباسية في عهد بني بويه لا يرجع الـى ضـعف الخلفاء انفسهم، بل يرجع كذلك الى تلقيهم سلاطين بني بويه بتلك الالقاب الضخمة التي رفعت شأنهم وقللت من هيبة الخلفاء، مثل ضياء الملك وغياث الامة وغيرها، ويتضح لنا مدى ما وصلت اليه الخلافة العباسية من ضعف ووهن، من ان بنـي بويه كانوا يودون تحويل الخلافة من العباسيين الى العلويين لولا خوفهم من ضياع نفوذهم لما تورعوا عن ذلك[2].

---

[1] محمد الخضري، المرجع السابق – ص: 406

[2] علي ابراهيم حسن ،المرجع السابق، ص: 470 - 560

وبدأ الضعف ظاهراً في خلفاء بني العباس ايام البويهيين، كمـا ان العـداء المستمر بين الخلفاء العباسيين والامراء البويهيين يرجع سببه الى كون البـويهيين من الشيعة الزيدية ويعتقدون ان الخلفاء العباسيين انما هم في الحقيقة مغتـصبون للخلافة، وقد ابقى البويهيون الخلفاء العباسيون تمويهاً للرعية وتيسيراً للامور، ولم يبقى للخليفة العباسي من الحكم الا تعيين القضاة واصحاب الصلاة والخطباء وقوام المساجد، وهذا هو الذي حفظ للخليفة نفوذه فصار يؤكده ويسعى الى تثبيت مركزه به وقد ساعده ذلك على استرجاع سلطته في دور ضعفهم[1].

جاء بعد ذلك دور ثالث من (334 – 447م) ليس للخليفـة فيـه الا اسـم الخلافة والسلطان الفعلي لامة فارسية هي الامة الديلمية التي يمثلها السلطان مـن بني بويه يقيم ببغداد فصار الخليفة كأنه موظف لهم، وهو يتناول منهم مـا يقـوم بأمره وليس له تصرف ولا نفوذ يؤمر فيأتمر ويفعل ما يراد منه لا ما يريد وليس له على انفس المالكين شي من السلطان الديني لمباينتهم له في العقيدة فقـد كـانوا شيعة علويين وقد رضوا ببقاء الخليفة العباسي ليكون امره عليهم هيناً يبقونه متى رأوا في بقائه خيراً لهم ويعزلونه او يقتلوه متى رأوا في ذلك مصلحتهم.

وقد قام في هذا الدور المستكفي ، المطيع ، الطائع ، القادر والقائم ومتوسط مدة الخليفة منهم (22 سنة ونصف)، والقائم هو حلقة الاتصال بين هـذا الـدور والذي يليه والثلاثة الاولون من خلفاء هذا الدور خلعهم بنو بويه[2].

وقد جاء بعد ذلك دور آخر من سنة (447م الى 590م) انتقل الـسلطان الفعلي فيه الى ام تركية يمثلها سلطان من آل سلجوق يقيم ببلاد الجبال لا في بغداد

[1] حسين امين ، المرجع السابق ، ص: 18
[2] محمد الخضري، المرجع السابق ، ص: 407

وكان بنو العباس مع هذه الدولة احسن حالاً منهم مع بنو بويه فان هـؤلاء كـانوا يحترمون الخلفاء تديناً وكانوا يبدون لهم من مظاهر التعظيم والاجلال ما يقـضي به منصبهم الديني[1].

وقد تولى في هذا الدور المقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد والمقتفـي والمستنجد والمستضي ومتوسط خلافة الواحد منهم نحو عشرين سنة ونصف ولم يكن الخلفاء في هذه المدة على حال واحد فانهم من عهـد المـسترشد شـرعوا يستردون شيئاً من نفوذهم الفعلي في بغداد والعراق والذي ساعدهم على ذلك بعـد آل سلجوق عنهم وتفرقهم ووقوع الحرب بينهم. وفي عهد المقتفي زالـت دولـة السلاجقة سنة 490م على يد خوارزم شاه واضمحل نفوذهم في العراق[2].

اما الخليفة الناصر لدين ا كانت مدة خلافته نحو سبع واربعين سنة وعمى في آخر عمره، وهو الامام الناصر لدين ا ابو العباس احمد بن المستضيئ. وكان عمر الامام الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم خرب في ايامه العراق وتفرق اهله في البلاد وكان يتشيع ومنصرف الهمة الى رمي البندق والطيور وقد منع رمي البندق الا من ينسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انساناً واحداً يقال له ابن السعفن، وهرب من بغداد الى الشام[3].

وقد نسب الى الامام الناصر انه هو الذي كاتب التتر واطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوازم شاه محمد بن تكش من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصر العراق[4]. ولما توفى الامام الناصر بويع ولده الظاهر بأمر ا ابو

---

1 محمد الخضري، المرجع السابق ، ص: 407

2 نفسه

3 عماد الدين اسماعيل ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج3 ، المطبعة الحسينية ـ القاهرة، ص: 136

4 نفسه

نصر محمد فأظهر العدل واخرج المحبوسين وظهر للناس، وكان الناصر ومن قبله لا يظهرون الا نادراً ولم تطل مدته في الخلافة غير تسعة اشهر، وقد توفى الخليفة الظاهر بأمر ا وكان متواضعاً محسناً الى الرعية وابطل عدة مظالم منها انه كان بخزانة الخليفة صنجة زائدة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس.

وكان زيادة الصنجة من كل دينار حبة فخرج توقيع الظاهر بابطال ذلك واوله (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون)، وعمل صنجة المخزن مثل صنجة المسلمين، وكان مضاد لأبيه الناصر في كثير من احواله منها ان مدة خلافة ابنه طويلة ومدة خلافته كانت قصيرة، وكان ابوه متشيعاً وكان الظاهر سنياً وكان ابوه ظالماً جامعاً للمال وكان الظاهر في غاية العدل وبذل الاموال للمحبوسين على الديون والعلماء.

ولما توفى الظاهر ولي الخلافة بعد ولده الاكبر المستنصر با ابو جعفر المنصور وكان للظاهر ولد آخر يقال له الخفاجي في غاية الشجاعة وبقى حياً حتى اخذت التتر بغداد وقتل مع من قتل ولما تولى المستنصر الخلافة سلك في العدل والاحسان مسلك ابيه الظاهر[1]. وقد رفع السلطان بيبرس احدهم الى العرش كخليفة زائف تحت اسم المستنصر با ، رغبة منه في انه يخلع على حكمه صفة شرعية ولقد ظلت هذه الخلافة الوهمية قائمة في مصر حتى انقضاء دولة المماليك عقب الفتح العثماني سنة 1516 – 1517م[2].

---

[1] ابو الفداء، المصدر السابق ، ص : 137

[2] بروكلمان ، المرجع السابق ، ص: 390

وقد توفى المستنصر بصورة مفاجئة ولم يشعر بوفاته سوى بعض الخدم لذلك لم يعهد بولاية العهد لأحد، ولعله كان يحاول ان يمهد الظروف لاعلان البيعة لأخيه الخفاجي المعروف بشجاعته واقدامه لدرجة ان البعض اعتبره رجل الساعة[1].

لقد كان المستعصم با (640 – 656هـ) (1242 – 1258م) ضعيف الرأي غير ملم بحقائق الامور في دولته، منصرفاً الى اللهو واللعب.وقد استولى عليه اصحابه من الجهال وارذال القوم[2]. ولذلك بقى آخر خلفاء بني العباس وهو الخليفة السابع والثلاثون مسلوب الارادة امام حاشيته التي كانت بدورها تتآمر على بعضها البعض. بل ان بعض مراكز القوى في البلاط بدأت تتطلع الى خلع الخليفة والبيعة لابنه الاكبر في الوقت الذي كان المغول على ابواب العراق[3].

وكان اصحابه يهونون خطر المغول في نظره فقصر عن الاستعداد لمواجهة الخطر الداهم، وسرت روح التفكك في نفوس الشعب واخذت الاقاويل تنتشر عن مدى قوة المغول وقدرتهم على البطش، خصوصاً بعد ان قضوا على الباطنية في بلاد فارس بصورة ادخلت الخوف والفزع في نفوس الناس.

وقد ارسل هولاكو رسالة الى المستعصم با من مدينة همزان ينذره فيها بالحرب اذ لم يستسلم ويعلن خضوع دولته للمغول فلما لم يتلقى جواباً مرضياً خلال مدة شهرين سار الى بغداد بجيش يزيد عن الثلاثين الف فارس، وقد خرج اليه الخليفة على امل التوصل معه الى اتفاق. ولكن هولاكو قتل الخليفة المستعصم با واولاده واستباح المغول بغداد فذبحوا الناس كما تذبح الشاة، واضرموا النيران

[1] فاروق فوزي ،الخلافة العباسية السقوط والانهيار ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، 2003م ، ص: 248
[2] هاشم عبد الراضي ، المرجع السابق ص: 204
[3] فاروق فوزي ، المرجع السابق ،ص: 248

في المدينة فأتلفوا مسجد الخليفة ومقابر الخلفاء في الرصافة، وعم الخراب بيوت المدينة وطرقاتها[1].

وقد اسر المغول الخليفة المستعصم واودعوه هو واسرته في معسكرهم ثم استقر هولاكو في قصر المأمونية في شرق دجلة، وقد خرب معظم الشوارع والطرقات والبيوت، واستأنفت جموع المغول سيرها لمواصلة الفتح والنهب فخربوا المساجد ليحصلوا على قبابها المذهبة من التحف الفارسية وخربوا المكاتب واتلفوا الكتب التي بها إما بإحراقها او برميها في دجلة كما قتلوا معظم اهل المدينة دون ان يستثنوا امرأة او طفلاً او يعطفوا على مريض او يقدروا عالماً.

وانتهت هذه الحوادث المحزنة بقتل الخليفة المسعتعصم واولاده، وسقوط بغداد في ايدي التتار بعد ان ظلت زهاء خمسة قرون حاضرة للدولة العباسية ومركزاً للعالم الاسلامي ومهبطاً للعلماء، ولم تعد تلك المدينة الزاهرة منذ ذلك الحين حاضرة الاسلام، وان كانت لم تزل اهم بلاد العراق العربي وبسقوط الدولة العباسية انتهت الخلافة بنظامها القديم. وقد اختل نظامها حتى اصبح في مقدرة كل امير قوي متغلب على جهة اسلامية ان يستجير لنفسه لقب الخلافة.

وهكذا زالت الخلافة العباسية وبزوالها زال الحكم العربي، وانقرضت الخلافة العباسية ونتج من هذا نتائج جد خطيرة لا في العراق وحسب بل في العالمين الاسلامي والعربي[2].

---

[1] هاشم عبد الراضي ، المرجع السابق ، ص: 204

[2] محمد اسعد اطلس ، تاريخ الامة العربية عصر الانجاز ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، 1963م ،ص: 13

اسباب انهيار الخلافة العباسية

تجددت المشكلات امام الخلفاء العباسيون، وكلما تخطو مشكلة برزت اخرى، وقد شملت هذه المشكلات القضاء على العلويين الذين هبوا المرة بعد الاخرى في وجه بني العباس، وشملت كذلك القضاء على ثورات هبت من صفوف بني العباس انفسهم، ومن صفوف الفرس الذين ساعدوا على قيام الدولة العباسية، ثم انقلبوا في بعض الاحيان يكيدون لها، وغير ذلك من الثورات.

ان القوة لم تكن دائماً الوسيلة التي يلجأ اليها الخلفاء لمقابلة هذه الانتفاضات وتلك الثورات بل كثيراً ما لجأ الخلفاء الى سلاح آخر هو سلاح المؤامرة والتدبير السري. كانت الدولة العباسية دولة ذات خدع ودهاء، غدر، وكان قسم الحيل والمخادعة اوفر من قسم القوة والشدة[1].

ومما لا شك فيه ان العلويين لاقوا في سبيل الوصول الى الحكم الشئ الكثير من عسف وتنكيل الامويين والعباسيين، لكن ذلك لم يئن من عزيمتهم، بل ظلوا يكافحون حتى نجحوا اول الامر نجاحاً يسيراً في اقامة خلافة علوية في بلاد المغرب الاقصى ثم واصلوا نضالهم ضد العباسين، وانتهزوا فرصة ضعفهم واضطراب الامور في بلادهم من جراء استئثار الاتراك بالسلطان والنفوذ، ونشطوا في بث الدعوة لهم، واستطاعوا بالتجائهم الى الولايات البعيدة عن مركز الخلافة العباسية ان يقيموا خلافة شيعية فاطمية في افريقية[2].

---

1 احمد شلبي ، المرجع السابق ، ج3، ص: 205

2 ابن العمراني ، المصدر السابق ، ص: 208

ومن مظاهر هذا العصر الخلاف الشديد بين الفقهاء بعضهم مع بعض، وبين السنية والشيعة، حتى جروا البلاد الى الخراب، فكل مملكة تقسمتها المذاهب المختلفة، وكان النزاع شديداً بين بعضهم البعض[1].

اما بغداد فكانت في يد الخلفاء العباسيين اسماً، وفي يد جبابرة الاتراك فعلاً. فكان هؤلاء الاتراك يختارون من بني العباس من آنسوا من صغر السن او ضعف الشخصية، فيجعلونه خليفة حتى لايشاركهم في سلطانهم، واحياناً يخيب ظنهم فيشاركهم في سلطاتهم او يتمرد عليهم فينكلون به وينتقمون منه[2].

وقد اعتمد العباسيين على الموالي الذين قامت على اكتافهم دولتهم. واخذوا عنهم كثيراً من نظم الحكم التي كانت سائدة في العهد الساساني، واهملوا العنصر العربي اهمالاً ظهر اثره في بعض الحركات التي كانت نتيجة سخط العنصر العربي على العنصر الفارسي، ومن اقوى الامثلة على ذلك تآمر الفضل بن الربيع على البرامكة ثم قيام الفتنة بين الامين والمأمون، فكانت في الواقع انتصاراً للفرس على العرب. وذلك نتيجة للعداء الذي قام بين العرب والفرس[3].

ولقد حفل هذا العصر بالثوار والثورات من كل جنس ومذهب: فهناك ثورات العلويين وحركات القرامطة وهناك تصارع المتغلبين على السلطة كالبريدي وابن رائف، وهناك ثورة الزنج التي كلفت الدولة الملايين وهلك بها مئات الالوف، وهكذا انحدرت الدولة العباسية ووصلت لهذا الدرك[4].

---

[1] احمد امين ، المرجع السابق ، ج2 ، ص: 3 - 4
[2] نفسه
[3] بدر عبد الرحمن محمد ، المرجع السابق ، ص: 101
[4] محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية الادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ، (247 – 656 هـ) (861-1258م) ،مؤسسة الرسالة ،بيروت، 1982، ص : 44

ومن مظاهر ضعف الدولة العباسية ان الخلفاء اصبحوا في ايدى الاتراك كالدمي، يحركونهم كما يشاؤون، ويلقونهم على الارض متى يشاؤون، وايضا الامصار اخذت تستغل عن الخلافة العباسية وتبتعد، واخذ الامراء يديرون اماراتهم بأنفسهم منتهزين وضع الخلافة السيئ، وظهرت ايضاً ثورة جامحة في العراق وثبتت فجأة امام عيون الناس، فكادت تلتهم الاخضر واليابس وهي ثورة الزنج[1].

ان هذه الحوادث وتلك الفتن والمظاهر السيئة لم تقض تماما على الدولة العباسية، انما خرجت الخلافة منها تحمل اثار الخذلان ومع ذلك خرجت منها وهي لا تزال دولة وخلافة، تخلصت من الاتراك، وقضت على ثورة الزنج[2].

ومن اهم ما تميز به ذلك العصر، وكان له اثره الواضح في تاريخ العالم الاسلامي منذ القرن الثالث الهجري، هو عداء الخلفاء العباسيين على الناس، اما بالسجن او القتل او التعذيب او العزل، او على سلطانهم بالتضييق او السلب، ونجد ان منصب الخلافة فقد ما كان له في نفوس المعاصرين من الهيبة والقداسة، الامر الذي يشكل صورة قاتمة محزنة من اخبار الخلفاء في ذلك العصر[3].

وفي نفس الوقت الذي كان فيه البيت العباسي يفقد هذه الوجوه، كان يفقد عنصراً آخر من عناصر القوة. فلقد كانت العصبية العربية تضعف وتتداعى ضعفاً طبيعيا تلقائياً بسبب تفرق العرب في الامصار واختلاط دمائهم بدماء الشعوب التي

---

[1] يوسف العشي، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، راجعه ونقحه د. محمد ابو الفرج العش ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1968، ص:116 117

[2] نفسه

[3] حسن احمد محمود ، احمد ابراهيم الشريف ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ،الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربي ، 1977 ، ص: 307

خضعت لنفوذهم ولاشتعال العصبية القبلية بينهم في كل مكان. وكان العباسيون انفسهم قد عملوا على اهمال هذه العصبية العربية، واضعاف ما بقى فيها من رمق[1].

وقد دفع خوف العباسيين على الخلافة وتوجسهم الشر دائماً الى التماس عصبية جديدة ، قدر لها ان تلتهم ما تبقى للخلافة من نفوذ، فقد ضيعت الخلافة العرب والفرس لتستعين بالترك، فاستبد الترك بالخلفاء واغتالوا سلطانهم، ثم استعانت بالديلم للتخاص من الترك فكان حالها مع الديلم كحالها مع الترك. وحين لجأت الى الترك السلاجقة بعد الديلم لم تصل الى شئ، فقد استمرت في ضعفها وخضعت لتسلط كل هذه العصبيات الواحدة بعد الاخرى[2].

وهكذا اصبحت الخلافة العباسية تلعب دوراً مؤثراً في محاولات رأب الصدع وتسوية النزاع بين ملوك بنى ايوب في وقت تفاقم فيه خطر التتار من جهة الشرق[3].

والحق ان الخلافة العباسية في بغداد كانت الكثر احساسا بخطر المغول الوثنيين الذين هددوا قلب العراق وصاروا قاب قوسين او ادنى من بغداد[4].

وقد ظهر بعض الخلفاء الضعاف الذين استسلموا للاقدار وبعض الخلفاء الذين انصرفوا الى اللهو والملذات، ولكن الامر لم يخل من خلفاء آخرين كانوا على جانب كبير من قوة الارادة وصفاء الشخصية وانهم حاولوا جاهدين ان يغالبوا التيار فغلبهم والحقيقة ان الامر لم يكن ضعف اشخاص الخلفاء بقدر ما كان ضعف النظام الخلافي نفسه[5].

---

[1] حسن احمد ، احمد ابراهيم ، المرجع السابق ، ص: 307 - 312

[2] نفسه

[3] محمد علي عودة الغامدي ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي (589 – 657 هـ) -(1193 – 1259م) مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة – العزيزية ، 1408 هـ - 1988م ، ص : 312 - 315

[4] نفسه

[5] حسن احمد – احمد ابراهيم ، المرجع السابق – ص : 307.

انهيار بيت الحكمة

من اكبر الحوادث في التاريخ الاسلامي خروج طوائف المغول والتتر الى البلاد الاسلامية واستيلائهم على معظمها في آسيا وشرق اوربا واول من فتح هذا الباب هو جنكيز خان المغولي وخوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي.

والتتر هم شعب كبير من الامة التركية ومنه تفرق معظم بطونها وافخاذها وهو مرادف للترك عند الافرنج حتى انهم يعدون قبائل الاتراك كافة تتراً ومنهم العثمانيون والتركمان وقرمان وغيرهم. ومؤرخوا الترك ونسابوهم يقولون النجة خان احد ملوك الترك في الازمنة القديمة ولد له ولدان توأمان هما تتارخان ومغل خان.

وقد استمر اولادهما على صفاء ووداد الى ان وقع النزاع بين الشعبين في عهد ايلخان ملك المغول وسونج خان ملك التتر وجر هذا النزاع الى حروب طويلة انتصر فيها التتار وقتل ايلخان ملك المغول وصارت السيادة من ذلك الوقت للتتر. فاستعبدوا المغول مدة طويلة الى ان جمع المغول جموعهم واتحدوا فقاموا بحرب التتر وكسروا شوكتهم واستردوا ما ضاع من حريتهم فعادت السيادة منذ ذلك الوقت الى المغول وصار الملك متوارث فيهم الى زمن يسوكي بهارخان والد جنكيز[1].

وفي مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي دخل المغول في صراعات داخلية انتهت بظهور جنكيز خان زعيم لهم والذي استطاع ان يوحدهم

[1] محمد الخضري ، المرجع السابق، ص: 392

ويوجه نشاطهم نحو الاقاليم المجاورة، كما وضع قانوناً لهم ينظم حياتهم ومعاملاتهم معتمداً على الاعراف والتقاليد.

وقد بدأ احتكاك المغول بالعالم الاسلامي سنة 616هـ / 1219م حين احتكوا بامارة خوارزم، فكان غزوهم لاقاليم الخوارزمية كارثة كبيرة وغارة مدمرة لم يتوقف عند ما وراء النهر او خراسان بل استمرت لتحطيم المشرق الاسلامي بما في ذلك العراق وبغداد حاضرة الخلافة العباسية واجزاء من الجزيرة الفراتية وبلاد الشام وتم ذلك خلال اربعين سنة فقط من بدء تحرك المغول باتجاه العالم الاسلامي، حتى اوقفهم عند حدهم اهل بلاد الشام ومصر في موقعة عين جالوت 658 هـ - 1260م[1].

ومن الاسباب التي دعت جنكيز خان وقومه للخروج الى البلاد الاسلامية،ان خوارزم شاه لما اظهر الخلاف على الناصر لدين ا وقطع خطبته من بلاده واراد ان يذهب الى بغداد للاستيلاء عليها. ارسل الناصر لدين ا الى جنكيزخان يحرضه على الخروج الى خوارزم شاه والتعرض لمملكته يريد بذلك ان تنكسر شوكة خوارزم شاه ويستغل عنه بنفسه وقد سبق لخلفاء بني العباس ان فعلوا ذلك مراراً[2].

من اكبر الحوادث في التاريخ الاسلامي خروج طوائف المغول والتتر الى البلاد الاسلامية واستيلاؤهم على معظمها في آسيا وشرق اوربا واول فتح هذا الباب كان على جنكيز خان المغولي وخوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي[3].

---

[1] فاروق فوزي ، المرجع السابق ، ص: 249
[2] محمد الخضري ، المرجع السابق ، ص: 392
[3] نفسه

ورغم ان الخلافة العباسية كانت قد استعادت نفوذها واستقلالها الا ان عوامل الضعف والتفكك كانت اقتصاديا وعسكرياً، كما كانت تنبي بعدم قدرة الخلافة في الوقوف امام الخوارزميين فيما لو شنوا هجوماً على العراق. ولكن موجة المغول الكاسحة غيرت مجرى الحوادث وضيعت آمال الخوارزميين، وان الخوارزميين وان حاولوا الوقوف بعناد امام المغول، الا ان ضعف الجيش الخوارزمي والاضطربات التي حلت بالدولة ساعدت المغول كثيراً على الحاق الهزائم بجيش الدولة الخوارزمية.

وكان الجيش الخوارزمي معظمه من الاتراك وهم جنود مرتزقة همهم السلب والنهب، وفي سنة 626 هـ - 1229م تحرك جيش مغولي بقيادة (شير ماجون و بيدشو) وتمكن ذلك الجيش الكثيف والذي عدته حوالي الثلاثين الف من المغول المدربين على القتال من الحاق هزيمة منكرة بالسلطان جلال الدين منكبرتي بن علاء الدين محمد خوارزم شاه في اعالي نهر دجلة والذي اضطر بعدها ان يلجأ الى جبال كردستان، وهناك قتل على ايدى احد الاكراد سنة 628هـ - 1231م.

وبإنتهاء الدولة الخوارزمية وسيطرة المغول على املاكها، اصبحت الخلافة العباسية في خطر كبير يهدد زوالها، وفعلاً تحرك هولاكو سنة (654هـ - 1256م) متجهاً نحو العراق لضرب الخلافة فتم للمغول ما ارادوا ودخلت جيوشهم بغداد سنة (656هـ - 1258م) وقضى على الخلافة العباسية واصبح العراق تابعاً لدولة المغول[1].

---

[1] حسين امين ، المرجع السابق، ص: 269

المغول هم اقوام من العنصر الاصفر اصلهم من منغوليا واليها ينسبون، وقد اصبحوا قوة كبرى في اواخر القرن السادس الهجري على يد زعيمهم جنكيز خان، ثم بعد ذلك بدأوا بالتوسع غرباً فكانت البلاد الاسلامية المسرح الرئيسي لنشاطهم وبلغ نشاطهم ذروته في سقوط بغداد على يد هولاكو.

وقد احتل المغول العراق وتقدموا غرباً فاحتلوا سورية وهددوا مصر، ولكن معركة عين جالوت انقذت العالم كله من شرهم فهزم المغول لاول مرة في التاريخ وتراجعوا عن سورية وتمركزوا في العراق وما وراءها من البلاد. ولقد كان المغول منظمين حتى في تخريبهم وتدميرهم وهمجيتهم وكان همهم ايجاد امبراطورية وحكموها حكماً وراثياً[1].

في شهر رمضان من سنة 656هـ ارسل هولاكو رجلاً يحمل انذاراً الى الخليفة العباسي المستعصم يطلب منه الاستسلام وتسليم بغداد، وكان رد الخليفة بالرفض دون تقدير قوات خصمه واستعدادات جيشه في بغداد.

في اوائل محرم سنة 655هـ نزل هولاكو من همزان الى دجلة عن طريق كرمنشاه وحلوان، وكان معه الامير آرغون والخواجة نصير الدين الطوسي والوزير سيف الدين البيتكجي، وعلاء الدين ملك الجويني، وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل و الاتابك ابو بكر في اقليم فارس ممن امدوا هولاكو بالمال والرجال.

اقام هولاكو معسكره في ظاهر بغداد من الشرق وحاول جيش الخليفة العباسي بقيادة مجاهد الدين آيبك الدوانذار ان يحول دون استقرار المغول في

---

[1] محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق، ص: 79

اماكنهم فأوقعوا به الهزيمة[1]. كانت بغداد قد خربت واحرقت ونهبت دورها من قبل جيش هولاكو وقد استمر النهب والحرق والتخريب اربعين يوماً قتل خلالها عدد كبير من السكان، وشمل التخريب والنهب والحرق منطقة دار الخلافة[2].

وفي يوم الثلاثاء (22 من محرم سنة 656هـ) احكم الحصار حول مدينة بغداد واستمر حتى نهاية الشهر وتحت ضغوط التدمير والسلب والنهب والقتل وعجز المقاومة عن دفع المغول ومقاومتهم. وقد خرج المستعصم وحاشيته، صاغراً ذليلاً وذلك في يوم الاحد (4 صفر سنة 656 هـ) وقف يرتجف بين يدي هولاكو، وسلمه كنوز آل العباس التي جمعوها خلال خمسة قرون من حكمهم، وقتل المستعصم شر قتلة، واخذوا كل ما يملكه من مال وكل ما يحتويه قصره من حشم وخدم ونساء، ومن ثم دمرت بغداد واحرقت وتم قتل الناس ولم يسلم الا من اختفى في بئر او قناة[3].

ولما ملك هولاكو بغداد ورتب بها الشحاني والولاة انفذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل اليه ابنه الملك الصالح اسماعيل ومعه جماعة من عسكره نجدة له، فاظهر له هولاكو عبسه وقال: انتم بعد في شك من امرنا ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم وقدمتم رجلاً واخرتم اخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه، فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا. قل لابيك: لقد عجبنا منك تعجباً كيف ذهب عليك الصواب وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل واتخذت اليقين ظناً وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح.

---

[1] عبد القادر فياض ،" الغزو المغولي واثره على العرب" مجلة المعرفة ،السنة الرابعة والثلاثون، العدد 389 ، سوريا ،فبراير 1996م ، ص: 57

[2] حسن احمد الراوي ، "دار الخلافة العباسية وجامع القصر في بغداد "، المورد ، المجلد السادس عشر ، العدد الثاني، العراق، 1987م ، ص: 31

[3] عبد القادر فياض ، المرجع السابق، ص: 58

ولما عاد الصالح الى الموصل وبلغ اباه ما حمل من الرسالة الزاجرة فهم بدر الدين ان المنايا قد كشرت له عن ابيابها وذلت نفسه وهلع هلعاً شديداً. وكاد يخسف بدره ويكسف نوره فانتبه من غفلته، واخرج جميع ما في خزائنه من الاموال واللالئ والجواهر والمحرمات من الثياب وصادر ذوي الثروة من رعاياه واخذ حتى حلي خطاياه والدرر من حلق اولاده وسار الى طاعة هولاكو بجبال همذان[1].

فأحسن هولاكو قبوله واحترمه لكبر سنه ورق له وجبر قلبه بالمواعيد الجميلة واستأمن اليه وداعبه وقدمه الى ان صعد اليه واذن له ان يضع بيده في اذنيه حلقتين كانتا معه فيهما درتان، واقام في خدمته اياماً، ثم عاد الى الموصل مسروراً مبروراً بل مذعوراً مما شاهد من عظمة هولاكو وهيبته ودهائه[2].

وقد تمادى هولاكو حفيد جنكيز خان التتري في الفسق والتخريب والتدمير اثناء زحفه الى بغداد، فلم يبق فيها أثراً للمخطوطات القديمة، والذخائر الثمينة التي كانت مكنوزة منذ قرون في قصور الخلفاء وبيوتات الامراء واقترف مثل تلك الفظائع في (دار الحكمة). وفي غيرها من خزائن الكتب العامة والخاصة فالقى بعضها في نهر دجلة فسد مجراه وجار الناس على الكتب من جانب الى جانب كأنها جسر معقود وبعضها الاخر استنفد عزم النار الاكلة مدة غير قصيرة من الزمن قضت قضائها فيه.

ومن الكنوز الفاخرة التي اجهز عليها البرابرة في تلك الفاجعة الاليمة تحف الملوك وهداياهم ومراسلاتهم التي وجهوها الى الى الخلفاء العباسيين **ببغداد.**

---

[1] أبن العبري ، المصدر السابق، ص : 277

[2] نفسه

ومن تلك التحف النفيسة ما اهداه الناصر صلاح الدين الايوبي الى الخليفة العباسي في بغداد، نذكر منها 300 مجلد من الكتب البديعة النسخ، ذهبت فريسة فاجعة هولاكو البربرية.

ان بيت الحكمة كان مصيره الدمار والخراب غرقا او حرقا او نقلا والاختلاف اليسير بين بعض هذه المصادر انما هو في كمية هذا الذي استهدف للدمار والخراب. واستولى المغول من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد والقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعاً في دجلة وكان شيئاً لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لاول الفتح في كتب الفرس وعلومهم[1].

ان اعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن احداهما خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثره ولم تزل على ذلك الى ان دهمت التتر بغداد وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة كتبهم فيما ذهب، وذهبت معالمها واعفيت اثارها. ولقد انحل امر هذه الخزائن بانحلال الخلافة وتبعثرت كتبها ولا شك ان مجئ المغول الى بغداد كان من اشد الضربات عليها فبعضها نقل وبعضها اغرق[2].

وقد ظلت خزانة الحكمة قائمة حتى استولى المغول على بغداد سنة 656هـ. وكانت تحوي كل الكتب في العلوم التي اشتغل بها العرب، كما كان

---

[1] محمد صالح محي الدين ، "مكتبات بغداد موقف المغول منها "، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، ع 5 ، بغداد، (1401 هـ - 1981م) ، ص: 95 - 96

[2] نفسه

للعلماء والادباء الذين كان يختلفون اليها، اكبر الاثر في تقدم الحركة العلمية في عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين[1].

وفي بغداد نكب العالم الاسلامي بهولاكو الذي اجتاح عاصمة العباسيين (656هـ) ودمر رجاله من بين ما دمروا مكتبات بغداد الفريدة ومصنفاتها النادرة، بكل ما فيها من علم وفن والقوا ببعضها في نهر دجلة حتى احالوا لون ماء النهر الى السواد نظراً لإختلاط المداد به[2].

ولا شك ان انتشار المكتبات العامة في ارجاء العالم الاسلامي في العصور الوسطى واتباعها هذه الانظمة وفتح ابوابها لكل قارئ وتسخير كل هذه الامكانات لخدمته دليل ناطق على تقدم العرب الفكري والعلمي ومدعاة للفخر ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور[3].

واستمر بيت الحكمة في بغداد يؤدي رسالته طوال العصر العباسي الى ان كانت الهجمة المغولية الغاشمة التي اجتاحت الخلافة العباسية في اواخر عام 656هـ، فدخل هولاكو بغداد وامر بالقاء كتبها في مياه نهر دجلة. فكان سقوط بغداد والقضاء على الخلافة العباسية بليه لم يصب الاسلام بمثلها وكارثة عظمى اطاحت بالقيم الحضارية الاسلامية التي حملت بغداد لواءها طيلة عصر الخلافة العباسية.

وقد خربت بغداد الخراب العظيم، واحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا، وبالغ التتار في تدمير خزانات الكتب ببغداد، فقد قيل انهم بنوا بالكتب الاصطبلات والمعالف للخيول، ويروى انهم بنوا

---

1 حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج2 ، ص، 348

2 محمد ابراهيم الصبحي ،المرجع السابق ، ص: 81 - 82

3 نفسه

بها جسراً من الطين والماء، اما الكتب التي نجت من التدمير فقد بيعت بأبخس الاثمان[1]. ان هذه الخزانة ظلت حتى دهم التتر بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر الخلفاء العباسيين فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب وذهبت معالمها واعفت اثارها[2].

سقطت بغداد عام 656هـ في ايدي التتار ودفع هؤلاء الطغاة بتلك المدينة الاسلامية الزاهرة الى الدمار الحقيقي، وعاثوا فيها فساداً واتلافاً، وانهالوا على علمائها تشريداً، ثم لم يكتفوا ان يفعلوا ذلك بالانفس والارواح حتى راحوا يفعلونه بالكتب والمؤلفات، فالقوا بهذه الكتب في نهر دجلة وقضوا بهذا العمل على بغداد[3] قضاءاً سياسياً وادبياً في الوقت معاً.

وهكذا كان للسياسة الداخلية للدولة العباسية في العصر العباسي الاول، تأثيرها بشكل او بآخر على السياسة الخارجية للدولة ووجهتها وجهات معينة، حسبما كانت تقتضي الظروف، وكما كانت تتطلب حالات معينة وأمور خاصة كانت تعيشها الدولة وتمر بها[4].

ومما لا شك فيه ان التدمير الذي اصاب الكتب في بغداد او انتهى بها في اثناء الغزو المغولي انما يراد به تدمير خزائن كتب الخلفاء. اما خزائن المساجد والمدارس نجد انها لم تتأثر كثيراً في العهد المغولي بدليل وجود دور الكتب في اغلب المدارس التي استأنفت الدراسة فيها بعد الغزو المغولي لبغداد كخزانة الكتب في المستنصرية والنظامية والبشيرية ومدرسة ابي حنيفة.

1 السيد عبد العزيز سالم ، محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2000م ، ص: 202
2 احمد شلبي ، المرجع السابق ، ص: 185
3 محمد صبيح ، مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1965م ، ص: 288
4 هاشم عبد الراضي ، المرجع السابق ،ص: 227

فقد فوض نصر الدين الطوسي أمر خزائن الكتب ببغداد الى موفق الدين بن ابي الحديد وأخيه عز الدين وان جل ما اصاب هذه الخزائن من تدمير وتخريب انما كان في عهد تيمور لنك الذي خرب بغداد مرتين في سنة (795هـ - 1392م) و (803 هـ - 1400م) اي بعد هولاكو بنحو قرن ونصف القرن[1].

[1] ناجي معروف ، المرجع السابق، ص: 444

الخاتمة والنتائج

قامت دار الحكمة بجهد فريد من نوعه في تاريخ القرون الوسطى وكانـت اداة لنقل الحضارة القديمة والحضارة العربية الى الغرب ومنطلق العلم الحـديث كما كانت اساسا لتلك المدرسة العلمية الكبيرة التي عرفت باسم مدرسة بغداد وظل اثر هذه المدرسة قائمة في اوربا حتى النصف الثاني من القرن الخـامس عـشر ولهذه المدرسة يرجع الفضل في تحقيق استمرار الحضارة الانسانية بعـد انهيـار الحضارة الرومانية في القرن الميلادي ومن هذه المدرسة ظهـر كيـان العلمـاء العرب.

ولا شك ان انتشار المكتبات العامة في ارجاء العالم الاسلامي في العصور الوسطى واتباعها هذه الانظمة وفتح ابوابها لكل قارئ وتسخير كل هذه الامكانات لخدمته دليل ناطق على تقدم العرب الفكري والعلمي ومدعاة للفخر ويسجل لهـم ولتاريخهم بمداد من نور.

واستمر بيت الحكمة في بغداد يؤدي رسالته طوال العصر العباسي الى ان كانت الهجمة المغولية التي اجتاحت الخلافة العباسية في اواخر عـام 656هـ ـ فدخل هولاكو بغداد وامر بالقاء كتبها في مياه نهر دجلة. فكـان سـقوط بغـداد والقضاء على الخلافة العباسية وكانت كارثة عظمى اطاحت بـالقيم الحـضارية الاسلامية التي حملت بغداد لواءها طيلة عصر الخلافة العباسية .

وتوصلت من خلال هذه الدراسة الى النتائج التالية:

- قد اثبت هذا البحث فضل التعليم والعلماء.
- انقسام العلوم في العصر العباسي الى نقلية وعقلية.

- تطور التعليم عن طريق المساجد ومجالس المناظرة.
- دراسة الاسباب ادت الى النهضة العلمية في العصر العباسي اضافة الى ظهور بيت الحكمة الذي طور التعليم.
- عن طريق بيت الحكمة نشطت حركة الترجمة والنقل وظهـر اهـم المترجمين والمؤلفين.
- ظهر اثر بيت الحكمة في ازدهار الحركة العلمية وانتشار الحضارة العربية الى الغرب.
- اهم نتيجة مباشرة لظهور بيت الحكمة ظهور المدارس في بغداد.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً : القرآن الكريم

ثانيا: المصادر

1- ابن ابي اصيبعة: موفق الدين ابو العباس احمد بن قاسم بن خليفة بن يـونس السعدي الخزرجي، **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، شـرح وتحقيق نزار رضا، دار الحياة، مكتبـة الحيـاة، بيـروت، 1965م.

2- ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن علي بن محمد، **المنتظم**، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطـا، راجعـه وصححه نعيم زرزور، ج18 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

3- ابن حجر: احمد بن علي، **فتح الباري في صحيح البخاري**، حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرة للطباعة والنشر بيروت – لبنان – بدون طبعة.

4- ابن خلدون: عبد الرحمن بن بكر، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر**، ج7، المكتبة التجارية الكبرى، بـدون تاريخ.

5- ابن خلكان: ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بـن ابـي بكـر، **وفيـات الاعيان وانباء الزمان**، حققه اصوله وكتب هوامشه د. يوسف

على طويل ود. مريم قاسم طويل، ج6، الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1419هـ - 1998م.

6- ابن الطقطقا: محمد بن علي بن طباطبا، **الفخـري فـي الاداب الـسلطانية**، بيروت، 1386هـ - 1966م.

7- ابن العسراني: محمد علي بن محمد، **الانباء في تـاريخ الخلفـاء**، تحقيـق ودراسة قاسم السامرائي، لايدن، 1973م.

8- ابن قتيبة الدينوري: ابو محمد عبد ا بن مسلم، **كتاب المعرفة**، دار الكتـب العلمية، 1407هـ - 1987م.

9- ابن كثير: ابو الفداء الحافظ، **البداية والنهايـة**، ج7، دار الريـان للتـراث، 1408هـ - 1988م.

10- ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، الطبعة الثانية، تونس، دار سحنون، 1413هـ - 1992م.

11- ابن النديم: محمد اسحق ، **الفهرست**، بدون طباعة، بدون تاريخ.

12- ابو حنيفة الدينوري: احمد بن داؤود، **الاخبار الطوال**، (حققه عبـد المـنعم عامر) ، (راجعه جمال الدين الـشيال)، دار احيـاء الكتـب العربية، القاهرة، 1960م.

13- ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، ج3 ، المطبعة الحسينية.

14- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد ا ، **كشف الظنـون عـن اسـاس الكـذب والفنون**، ج2، مطبعة بالاوفست، منشورات مكتبـة المثنـى، بغداد.

15- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، **تاريخ الخلفـاء**، المكتبـة التجارية الكبرى، القاهرة، 1964م.

16- الطبري: ابي جعفر محمد جرير، **تاريخ الامـم والملـوك**، ج8 ، مطبعـة الاستقامة، 1358هـ - 1939م.

17- القفطي: جمال الدين علي بن يوسف، **اخبار العلماء باخبار الحكماء**، ليبزك، 1903م.

18- القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي، **صحيح الاعشى في صناعة الانشاء**، ج14 ، مطابع كوستاتوماس وشركاؤه، القاهرة.

19- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، **مروج الـذهب ومعـادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج4، الطبعـة الثالثة، مطبعة السعادة بمصر، 1377هـ - 1958م.

20- ياقوت: الحموي الرومي، **معجم الادباء**، تحقيق احسان عبـاس، ج7 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان ، 1993م.

ثالثاً: المراجع الحديثة

21- احمد الشتناوي، ابراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، **دائرة المعارف الاسلامية**، المجلد الثاني عشر، دار الفكر،(ب ، ت).

22- احمد امين، **ظهر الاسلام**، 4ج، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، 1962م.

23- ـــــــــــــ، **ضحى الاسلام**، 3ج، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، 1964م.

24- احمد جاب ا شلبي، **التعليم والتربية عند المسلم والحضارة الاسلامية خلال الاربعة عشر قرناً الماضية**، المجلد الاول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.

25- احمد شلبي، **التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**، 5ج، الطبعة السادسة، القاهرة، 1978م.

26- ـــــــــــ، **تاريخ التربية الاسلامية**، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها محمد واولاده، 1966م.

27- ـــــــــــــ، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**، 7ج، الطبعة السادسة، القاهرة، 1978م.

28- احمد فريد رفاعي، **عصر المأمون**، 3ج ، دار الكتب المصرية – القاهرة، (1346 هـ 1927م).

29- احمد كمال الدين حلمي، **السلاجقة في التاريخ والحضارة** ، دار البحوث العلمية – الكويت، (1395هـ - 1975م).

30- انور الرفاعي ، **الاسلام في حضارته ونظمه**، دار الفكر، القاهرة، 1393هـ - 1973م.

31- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب ،**تاريخ الحضارة الإسلامية** ، دار المدار الإسلامي ،2002م

32- توفيق يوسف الراعي، **الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة العربية**، الطبعة الاولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ش – م – م ، (1408هـ - 1988م).

33- جرجي زيدان ، **تاريخ التمدن الإسلامي**، راجعها وعلق عليها حسين مؤنس، 5ج ، الطبعة الثانية ،دار الهلال ،1958م .

34- جلال مظهر ، **الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث** ،مركز الشرق الاوسط- القاهرة ،1969م.

35- حسن ابراهيم حسن ، **تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى** ، 4ج ،الطبعة الثالثة عشر ،دار الجيل -بيروت (1411هـ -1991م.)

36- حسن احمد محمود،احمدابراهيم الشريف ، **العالم الإسلامى فى العصر العباسي** ، الطبعة الثالثة ، دار الفكرالعربى 1977م .د. السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000م.

37- حسين امين ، **تاريخ العراق فى العصر السلجوقى** ، مطبعة الارشاد –بغداد ،(1380هـ -1965م) .

38- خير الدين الزركلي، **اعلام قاموس التراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج8 ، الطبعة العاشرة، دار الملايين ، سبتمبر 1992م.

39- زكريا هاشم زكريا ، **فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم** ، دار هضة مصرللطبع والنشر، الفجالة – القاهرة ،1970م.

40- سعيد الدياجى ، **بيت الحكمة** ،الطبعة الناثية ، مؤسسة دارالكتب للطباعة والنشر-الموصل ،(1392هـ -1975م).

41- سعيد عبدالفتاح عاشور ، **اوروبا فى العصور الوسطى** ،1ج، الطبعة السادسة ،مكتبة الانجلو المصرية ،يناير 1975م.

42- السيد عبد العزيز سالم، **محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2000م

43- الشيخ محمد الخضري بك، **الدولة العباسية** ، اعتنى به درويش جويدي، ، المكتبة العصرية صيدا – بيروت (1420هـ - 2000م).

44- ضيف ا يحيى الزهراني، **النفقات وادارتها في الدولة العباسية (132 – 334 هـ) (749 – 945م)** ، مكتبة المنار الزرقاء، (1406 هـ - 1986م).

45- عباس محمود العقاد، **اثر العرب في الحضارة الاوربية**، الطبعة الثانية، منشورات دار الادب، بيروت، يناير 1965م.

46- عبد الرحمن محمد، **الدولة العباسية في سياستها الداخلية في القرنين الثاني والثالث الهجري**، مكتبة الانجلو المصرية.

47- عبد الرحمن بدوي، **دور العرب في تكوين الفكر الاوربي**، الطبعة الثانية، منشورات دار الادب-بيروت، يناير 1965م.

48- عبد ا عبد الدائم، **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين**، دار العلم للملايين – بيروت، 1973م.

49- عبد المنعم ماجد، **العصر العباسي الاول او القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين**، 3ج، مطبعة الانجلو المصرية – القاهرة، 1973م.

50- ـــــــــــــــ، **تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى**، الطبعة الثانية، مطبعة الانجلو المصرية، 1973م.

51- عبد المنعم محمد حسين، **سلاجقة ايران والعراق**، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، (1380هـ - 1970م).

52- عز الدين فراج، **فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوربية**، الفكر العربية، القاهرة، 1978م.

53- عزام ابوبكر الطيب، **تاريخ اوربا القديم من سقوط الدولة الرومانية الى عصر الصناعات**، الدار السودانية، 1969.

54- علي ابراهيم حسن، **التاريخ الاسلامي العام الجاهلي الدولة العربية والدولة العباسية**، مكتبة النهضة المصرية – القاهرية، 1960م.

55- علي حسني الخربوطلي، **الحضارة العربية الاسلامية**، المطبعة العربية الحديثة – القاهرة، 1975م.

56- علي محمد راضي، **عصر الاسلام الذهبي: المأمون العباسي**، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، 1970م.

57- فاروق فوزي، **الخلافة العباسية السقوط والانهيار**،، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003م.

58- فيليب حتي، ادوارد جرجس، جبرائيل جبور، **تاريخ العرب مطول**، 2ج، الطبعة الرابعة، غندور للطباعة والنشر – القاهرة، 1980م.

59- كمال اليازجى ، **معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط** ،الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين –بيروت 1966م.

60- محمد ابراهيم الصبحى، **العلوم عند العرب** ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة - مصر ، 1960م.

61- محمد اسعد اطلس ، **تاريخ الامم العربية عصر الانجاز** ، دار الاندلس للطباعة والنشر ،1963م .

62- محمد الخضرى ، **محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية** ، المكتبة التجارية الكبرى –القاهرة 1990م .

63- محمد جمال الدين سرور ، **تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق الاوسط** ،الطبعة الثانية ، القاهره1967م.

64- محمد صبيح ، **مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية** ،الطبعة الثانية ،القاهره ،1965م.

65- محمد على الغامدى ، **بلاد الشام قبيلة الغزو المغولى (589-657هـ)(1193-1259م)**، مكتبة الطالب الجامعى – مكة المكرمة العزيزية (1408هـ-1988م) .

66- محمد ماهر حمادة ، **الوثائق السياسية الادارية العائد للعصور العباسية المتتابعة (247-656هـ)- (861-1285)** ، مؤسسة الرسالة – بيروت1982م .

67- مريزن سعيد ميرزن عسيرى ، **الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى**، مكتبة الطالب الجامعى، (1407هـ-1987م).

68- ناجى معروف، **واصالة الحضارة العربية**، الطبعة الثانية، مطبعة التضامن – بغداد (1389هـ -1969م).

69- نقولا زيادة ، **لمحات من تاريخ العرب** ، مكتبية المدرسة ودارالكتاب اللبنان للطباعة والنشر –بيروت ،1969م.

70- هاشم عبد الراضي عيسى ، **قضايا ومواقف التاريخ العباسي**، الطبعة الثانية، مطبعة العمراني للاوفست – الجيزة، (1421هـ ،2001م)

71- يوسف العش ، **تاريخ عصر الخلافة العباسية،** راجعه ونقحه محمد ابوالفرج العش ، ،الطبعة الاولى ،دار الفكر دمشق – سوريا 1968م .

رابعا: الكتب المعربة

72- M.M.SHARIF ، **دراسات في الحضارة الاسلامية**، الفكر الاسلامي ومتابعة آثاره، ترجمة وعلق عليه احمد شلبي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، 1966م.

73- آدم متز، **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع عشر،** ترجمة محمد عبد الهادي ابوريدة، 2ج، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، (1366هـ - 1947م).

74- جورج سارطون ، **الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط** ، نقله الى العربية عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارى للطباعة والتوزيع والنشر (شعبان 1383هـ -كانون الاول1963م.)

75- شلبي النعماني، **مجمع البحوث الاسلامية** ، ترجمة عبد العزيز عزت عبد الجليل، (1401هـ - 1981م).

76- سيد امير على ، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى** ، ترجمة رياض رافت ، دار الافاق العربية ،(1421هـ -1972م).

77- غريغوريوس الماطي المعروف بإبن العبري، **تاريخ مختصر الدولة**، وقف على طبعه ووضع حواشيه الاب انطوان صلحاني اليسوعي واعيد طبعه سنة الف وتسعمائة وخمسين في المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنان.

78- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، نقله الى العربية زعيتر، الطبعة الرابعة، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، (1384هـ - 1964م).

79- ڤاليق ق. بارتولد ، **تاريخ الحضارة الاسلامية**، ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر، 1966م.

80- كارل بروكلمان، **تاريخ الادب العربي**، نقله الى العربية السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب ، ج6، دار المعارف بمصر، 1975م.6

81- ــــــــــــــــــــ، **تاريخ الشعوب العربية**، نقله الى العربية نبيه امين فارس، منير البعلبكي، دار المعلم للملايين، مارس 1993م.

خامساً: الدوريات

82- بركات محمد مراد ، "ابن حزم ومنهج الجدل والمناظرة" ، جذور ، السنة السابعة ، العدد 16، لبنان ، محرم 1425هـ - مارس 2004م.

83- حسن أحمد الراوى ، "دار الخلافة العباسية وجامع القصر في بغداد" ، المورد، المجلد السادس عشر ، العدد الثاني، العراق، 1987م.

84- حسين امين، "المسجد واثره في تطوير التعليم" ، دراسات تاريخية ، العدد 5 ، لبنان ، يوليو 1981م.

85- عبدالقادر فياض ، " الغزو المغولى واثره على العرب" ، مجلة المعرفـة ، السنة الرابعة والثلاثون، العدد 389، سوريا، فبراير 1996م.

86- محمد صالح محي الدين، " مكتبات بغداد وموقف المغول منها "، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ،العدد 5 ، بغداد، (1405هـ - 1981م) .

87- نورالدين صغيري، "الحوار والمناظرة في منظور الشارع" ، آفـاق الثقافـة والتراث، السنة التاسعة، العدد السادس والثلاثون، سوريا، شوال 1422هـ ينـاير 2002م.

88- ياسر عبدالرحيم، " المناظرة في الادب العربـي والاسـلامي"، المعرفـة، السنة41، العدد462، سوريا، مارس 2002م .